الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de la recherche scientifique

جامعة 08 ماي 1945 قالمة — Université 08 Mai 1945

كلّية الآداب واللّغات — Faculté des lettres et des langues

الرّقم:.....

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر

تخصّص: لسانيات تطبيقيّة

الفونيمات التّركيبيّة و دلالتها في خطاب محمّد البشير الإبراهيمي

تاريخ المناقشة:

-إعداد الطّالبة: 2019/07/08 م

-عريبي حجلة

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرّتبة	الصفة	الجامعة
جمال بن دحمان	أستاذ مساعد أ	رئيسًا	جامعة 08 ماي 1945
كمال حملاوي	أستاذ مساعد أ	مشرفًا ومقرّرًا	جامعة 08 ماي 1945
الطّاهر عفيف	أستاذ محاضر ب	ممتحنًا	جامعة 08 ماي 1945

السّنة الجامعية: 1439-1440هـ/2018-2019م.

بسم الله الرحمان الرّحيم

قال عزّ من قائل في محكم التّنزيل:

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾

يوسف الآية: 76

إهداء

إلى الزّهرة الّتي لم تزل تفوح بأريجها رغم قسوة الأيّام

إلى النّغم الهادئ الّذي يخمد زئير الآلام

إلى الشّمس الّتي أضاءت طريقي على الرّغم من كبرياء الظّلام

إلى سندي وعوني على متاعب الحياة

إلى من جعل الله حبّها وبرّها عبادة

إلى **أمّي** حفظها الله ورعاها

إلى من تجرّع كأس الشّقاء مرًّا ليسقيني رحيق السّعادة

إلى الّذي أدين له بكلّ ما وصلت إليه وما أرجو أن أصل إليه

إلى الّذي شحذ عزيمتي بالإرادة والتّحدّي

إلى الّذي علّمني كيف أتعلّم من الحياة

إلى **أبي** حفظه الله ورعاه

إلى من تجمعني بها صلة الرّحم ورابطة الأخوّة والدّم

إلى الوحيدة

إلى كلّ هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

قائمة الرّموز

تح	تحقيق
ط	طبعة
دط	دون طبعة
مج	مجلد
ص	صفحة
ص ن	صفحة نفسها
ج	جزء
ع	عدد

خطة بحث:

مقدّمة.

الفصل النّظري: المصطلحات والمفاهيم.

أولاً: مفهوم الدّلالة.

ثانيًا: مفهوم الصّوت.

ثالثًا: مفهوم الدّلالة الصّوتيّة.

رابعًا: علاقة الصّوت بالدّلالة.

خامسًا: مخارج الأصوات.

سادسًا: صفات الأصوات.

سابعًا: العناصر الصّوتيّة الرّئيسة في اللّغة العربيّة

1. الصّوامت.
2. الصّوائت.

الفصل التّطبيقي: الصّوامت والصّوائت في خطاب محمّد البشير الإبراهيمي.

أولاً: دلالة الصّوامت.

ثانيًا: دلالة الصّوائت.

خاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.

ارتبطت اللغة ارتباطا وثيقا بالإنسان منذ غابر العصور فهي الوسيلة الّتي يستعملها لنيل مقاصده ،و على هذا استطاع أن يغوص فيها و يعرف مشاربها، و أقلّ تفاصيلها و مهما يكن من أمر فإنّ اللّغة و إشكالاتها تعد مطلبا من مطالب البحث اللّساني الّذي يبيّن مكانتها و اسرارها و مفرداتها هذه المكانة العالية والمميّزة للّغة العربيّة جعلتها مادّة للبحث فدرست بطرائق ومناهج متعدّدة، ومن بين المسائل الّتي ظلّت تتردّد أصداؤها في كثيرٍ من أنماط القضايا اللّغويّة: مسألة العلاقة بين الصوت و الدّلالة؛ أي شكل الظّاهرة اللّغويّة صوتًا وما تحمله من دلالاتٍ.

ولقد استحوذت هذه المسألة– قضيّة العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها– على اهتمام المفكّرين واللّغويّين منذ القدم، ولا تزال حتّى عصرنا الحالي محلّ جدال ونقاش في الأوساط اللّغويّة، وقد ارتأينا أن نسهم بهذه الدّراسة، لنوضّح الصّلة بين الصّوت والمعنى انطلاقًا من آراء العلماء القدماء والمحدثين، ومحاولة استثمار هذه الصّلة في تحليل النّصوص وتذوّق جمالياتها؛ ذلك أنّ دراسة أيُّ نصٍ – نثري كان أم شعري– دراسة علميّة تستوجب البدء بأصواتها بوصفها الوحدات الصّغرى الّتي تبنى عليها الكلمات، و الجمل، والعبارات ذات الدّلالات المختلفة، لهذا فإنّ أيّة دراسة تفصيليّة لبنية تستوجب دراسة تحليليّة لأصواتها.

واختيارنا لهذا الموضوع هو اختيار مقصود يستند إلى سببين وجيهين فيما أحسبُ:

يتعلّق الأوّل بالخطيب بعدّه مفكّرًا مصلحًا، وسياسيًّا محنّكا، وأديبًا بليغًا، وشاعرًا خطيبًاعالمًا فقيهًا بالعربيّة، خبيرًا بأسرارها، متضلّعًا في آدابها وفنونها.

أمّا السّبب الثّاني؛ يخصّ قلّة الدّراسات الدّلاليّة والصّوتيّة الّتي أولت النّص الادبي بالدّراسة خاصّة مقالات الإبراهيمي الّتي لم تنل حضّها من هذه الدّراسة.

وقد تنوّعت الدّراسات السّابقة الّتي تطرّقت إلى مثل هذا الموضوع ومن بينها:

– كتاب الدّلالة الصّوتيّة في اللّغة العربيّة لصالح سليم عبد القادر الفاخري.

– دراسة إبراهيم مصطفى إبراهيم رجب بعنوان: البنية الصّوتيّة ودلالتها في شعر عبد النّاصر صالح بالجامعة الإسلاميّة في غزّة.

–كذلك مذكّرة عنوانها: الدّلالة الصّوتيّة في القرآن الكريم "سورة الرّحمن أنموذجًا".

ونظرًا لأهميّة الموضوع والتّساؤلات الكبيرة الّتي حامت حوله، جاء عنوان بحثنا موسومًا بـ: " **الفونيمات التركيبية و دلالتها في خطاب محمد البشير الابراهيمي**"، ونهدف من ورائه إلى الإجابة عن التّساؤلات الآتية:

– ما المقصود بالدّلالة الصّوتيّة؟ وهل هناك علاقة بين الصّوت والدّلالة في اللّغة العربيّة؟.
– هل للأصوات الرّئيسة دورٌ في إظهار المعنى وتحقيق الدّلالة في اللّغة العربيّة؟.
– وهل توظيف الأصوات بتكراراتها في الخطاب جاء متناسبًا دلاليًّا مع المعنى العام لها؟. وهذا ما سنحاول معرفته من خلال هذا البحث.

وعليه جاءت الدّراسة في فصلين نظري وتطبيقي مصدّرين بمقدّمة ومذيّلين بخاتمة متبوعة بقائمة المصادر والمراجع.

– أمّا المقدّمة ففيها البنود العريضة للبحث.
– أمّا الفصل الأوّل فقد عنونّاه بـ" المصطلحات والمفاهيم"، وهو فصل نظريٌّ حاولنا الوقوف فيه على مفهوم الصّوت ومخارجه وصفاته، إضافة إلى الأصوات الرّئيسة في اللّغة العربيّة، والعلاقة بينها وبين الدّلالة.

- أمّا الفصل الثّاني وهو فصل تطبيقيّ، جاء عنوانه: " الصّوامت والصّوائت في خطاب محمّد البشير الإبراهيمي"، تطرّقنا فيه إلى دراسة دلالة الأصوات – الصّوامت والصّوائت في الخطاب–، لنعرّج على العلاقة بين هذه الأصوات وما تحمله من معاني.
- أمّا الخاتمة جعلناها حوصلة لما توصّلنا إليه من نتائج مجيبين عن التّساؤلات الّتي طرحناها في مقدّمة بحثنا باحثين عن حلولٍ واقتراحاتٍ توصلنا إلى تذليل الصّعوبات.

وقد اقتضت طبيعة الدّراسة الاعتماد على المنهج الوصفي ؛ لأنّه الأنسب لهذا النّوع من البحوث، من حيث وصف الظّواهر الصّوتيّة وتحليلها للوقوف على دلالاتها مستعينين في ذلك بالمنهج الإحصائي؛الّذي يقدّم المعطيات الرّقميّة، الّتي تشكّل المادّة الخام للدّراسة التّطبيقيّة، وتجعلها أكثر دقّة وموضوعيّة.

ولكي يكون بحثنا أكثر ثراءً اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع لعلّ أبرزها:

- الخصائص لابن جنّي.
- علم الأصوات لكمال بشر.
- الأصوات اللّغويّة لإبراهيم أنيس.
- أصوات اللّغة العربيّة بين الفُصحى واللّهجات لرمضان عبد التّواب.

وكأي بحثٍ لا يخلو من عوائق في إنجازه فقد صادفتنا مصاعب منها:

- صعوبة الدّراسة التّطبيقيّة الّتي تحاول استيحاء الدّلالة من أصوات النّص.
- صعوبة حساب تكرار الأصوات خاصّة ما تعلّق بالحركات القصيرة.

ولكن هذه الصّعوبات زالت بفضل مجهودات الأستاذ المشرف؛ الّذي كان نعم الموجّه والسّند الّذي أنار طريقنا في البحث.

وفي الأخير نقرّ بأنّ هذه الدّراسة لم تكن لتستوي على ماهي عليه إلاّ بتوفيق من الله عزّ وجلّ، فله الحمد على ما كان وما لم يكن.

الفصل النّظري: المصطلحات والمفاهيم

أوّلا/ مفهوم الدّلالة

ثانيًا/ مفهوم الصّوت

ثالثًا/ مفهوم الدّلالة الصّوتيّة

رابعًا/ علاقة الصّوت بالدّلالة

خامسًا/ مخارج الأصوات

سادسًا/ صفات الأصوات

سابعًا/ العناصر الصّوتيّة الرّئيسة في اللّغة العربيّة

- تمهيد:

يعدّ علم الدّلالة علمًا قائمًا بذاته، إذ نال اهتمام العلماء قديمًا وحديثًا، فدرسوه من جانبين مختلفين: على مستوى اللّفظ المفرد، وعلى مستوى السّياق اللّغويّ المقاميّ، فالدّراسة الدّلالية قديمة قدم التّفكير الانسانيّ، ومواكبة لتقدّمه وتطوّره؛حيث انصبّ مجال بحثها في كلّ ما يقوم بوظيفة العلامة أو الرّمز سواء كان لغويًّا أم غير لغوي، وقد أخذ هذا العلم حظّه من الدّراسة في حقول التّفسير، والحديث، والبلاغة، والأدب، والمنطق، والفلسفة...ممّا جعله أهمُّ مستويات اللّغة على الإطلاق؛ لأنّ كل لفظ- في اللّغة العربيّة- له إيحاءات كثيرة ويستعمل في التّراكيب المختلفة بمعانٍ تتفاوت بتفاوت العبارات، وهذا ما يثبت أهمّيته في إيضاح أساليب العمليّة الاتّصاليّة وفكّ رموزها، ومن ثمّ الاستفادة منه في دفع حركيّة العلوم قُدُمًا نحو الأمام.

أوّلا/مفهوم الدّلالة:

أ. لغة:

تكاد تُجمع المعاجم اللّغويّة على ما جاء في معجم لسان العرب:

دلّ فلان إذ هدى، ودلّ إذا افتخر، والدِّلَّة: المِنّة[...]. والأدلّ: المنّان بعمله.[...]،ودلّه على الشّيء يدلّه دلاًّ ودلالة فاندلّ: سدّده إليه...والدّليل ما يستدلّ به. والدّليل: الدّالّ، وقد دلّه على الطّريق يدلّه دَلالةً ودِلالةً ودُلُولَةً، والفَتْحُ أعلى، والجمع أدلّة وأدلاّء، والاسم الدِّلالة والدَّلالة بالكسر والفتح[1].

[1]- أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم بن منظور، د تح، دار الحديث، القاهرة، دط، 2003، مج3، (مادة دلّ)، ص400 ،401.

وجاء في معجم الوسيط: دلّ عليه وإليه، دلالة: أرشد. ويُقال: دلّه على الطّريق ونحوه: سدّده إليه. فهو دالٌّ، والمفعول: مدلول عليه وإليه، واستدلّ عليه: طلب أن يُدلَّ عليه والأدلّ: المنّان بعمله، والدّلالة الإرشاد، وما يقتضيه اللّفظ عند إطلاقه،(ج) دلائل ودلالات والدِّلالة الدّلالة. اسم لعمل الدّلال[1].

والدَّلالة في اللّغة تنحدر من جذر(دَلَلَ)، وله أصلان كما يقول ابن فارس **(ت395هـ)**: الدّال واللّام أصلان: أحدهما إبانة الشّيء بأمارة تتعلّمها، والآخر اضطراب في الشّيء، فالأوّل قولهم: دللت فلاناً على الطّريق. والدّليل: الأمارة في الشّيء. وهو بين الدَّلالة والدِّلالة، والأصل الآخر قولهم: تدلدل الشّيء، إذا اضطرب[2].

يتّضح لنا من خلال هذه التّعاريف أنّ معظم المعاجم اللّغويّة اتّفقت على أنّ الدّلالة يُقصد بها الهداية إلى الطّريق المستقيم والإرشاد له، والتّسديد إليه، ومن الشّواهد على ذلك قوله عزّ وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الّذينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ **[الصف/الآية 10]**،وقوله أيضاً: ﴿**وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**﴾**[القصص/ الآية 12]**، وقوله: ﴿**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ...**﴾**[طه/40]**.

هذه الآيات جميعا تصبّ في مجرى لغويّ واحد هو الهداية المعنويّة كالدّلالة على الإيمان مثلاً، ومنه قوله صلّى الله عليه وسلّم:<<**الدّال على الخير كفاعله**>>، فأصل الدّلالة حسّي يراد به الاهتداء إلى الطّريق.

---

[1]– ابراهيم مصطفى وآخرون، دتح، دط، دت، ج1، ص334، 335.

[2]– معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دط 1979،ج2، ص259، 260.

وعليه فالخوض في معنى الدّلالة في اللّغة كما يبدو من المعاجم انتهى إلى معنى واحد هو الهداية والإرشاد، ولا يتجاوز أكثر من ذلك كما تقدّم.

ب. اصطلاحًا:

يعدّ علم الدّلالة من المصطلحات الّتي تعدّدت تسمياتها: فبعضهم يسمّيه علم الدّلالة وتُضبط بفتح الدّال وكسرها، وبعضهم أطلق عليه علم المعنى، والبعض الآخر اصطلح عليه **(السّيمانتيك)** الّذي أُخذ من الكلمة الفرنسيّة أو الانجليزيّة: لذلك تعدّدت مفاهيم هذا المصطلح بتعدّد تسمياته.

ويعود هذا العلم(**Sémantique**) إلى الأصل اليونانيّ المؤنّث(**Semantiké**) ومذكّره(**Semantikas**) بمعنى يدلّ، أمّا مصدره فكلمة(**Sema**) بمعنى الإشارة، أو الدّال[1].

ولم يظهر علم الدّلالة إلاّ في أواخر القرن التّاسع عشر، مع اللّغويّ الفرنسيّ(ميشال بريال)**Michel Breal** أوّل مرّة في دراسة علميّة عن المعنى صدرت سنة 1797 بعنوان "محاولات في علم الدّلالة" **Essais de Sémantique**[2].

يبحث علم الدّلالة في (دراسة المعنى بالشّرح والتّفسير، ويهتمّ بمسائل الدّلالة وقضاياها، ويدخل فيه كل رمز يؤدّي معنى سواء كان لغوياً أم غير لغوي، مثل: (الحركات والإشارات، والهيئات، والصّور والألوان، والأصوات غير اللّغوية، وغير ذلك من الرموز التي

[1]– نواري سعودي أبو زيد، محاضرات في علم الدّلالة، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2011ص49.
[2]– نور الهدى لوشن، علم الدّلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، دط، ص15.

تؤدّي دلالة في التّواصل الاجتماعي)[1]؛ بمعنى أنّ علم الدّلالة يعدّ شقًّامن شقّي علم الرّموز اللّغوية وغير اللّغوية، ويتضمّن الرّمز اللّغوي ألفاظاً وكلماتًاوعباراتًا منطوقة أو مكتوبة مثل: الطّرق على الباب لطلب الإذن بالدّخول أمّا الرّمز غير اللّغوي فيعتمد على الإيماءات وحركات الجسم، مثلاً: تحريك الرّأس ارتفاعًا وانخفاضًا إشارة إلى الموافقة.وقد أطلق الباحثون على هذا العلم علم الحركة الجسميّة (**Kinemics**)أو ما يعرف بلغة الجسد.

فعلم الدّلالة هو ذلك العلم الّذي يدرس المعنى، أو هو ذلك الفرع من فروع علم اللّغة الّذي يدرس الشّروط الواجب توافرها في الرّمز حتّى يكون قادراً على حمل المعنى[2]، ويمكننا أن نضرب المثال الآتي لشرح هذا التعريف:فعند التّلفظ بكلمة قلم مثلاً، يتبادر إلى ذهن السّامع مباشرة صورته، وأصوات هذه الكلمة (ق، ل، م) تعدّ مثيراً، والقلم في حدّ ذاته هو الرّمز، بمعنى أن المثير يجعل السّامع يدرك صورة ذلك الشّيء بغضّ النّظر عن إحضاره.

ومن أهم الباحثين الغربيين الّذين اهتمّوا بدراسة الدّلالة بِنِفِنِسْت الّذي عدّها (جوهر اللّغة نفسها...فليست اللّغة نظامًا من العلامات فحسب، ولكنّها- بالدّرجة الأولى- نظام من العلامات الدّالة والوظيفة الإفهاميّة تظهر على سائر الوظائف اللّغويّة)[3]؛ أي أنّ الدّلالة هي الرّكيزة الأساسة للّغة الّتي تعدّ مجموعة من الكلمات والعبارات ذات معانٍ غرضها التّواصل.

كما عرّفها موريس بقوله: (علاقات العلامات بالأشياء الّتي بها تكون العلامات قابلة للاستعمال)[4]؛ بمعنى أنّ هذا العلم يبحث في دلالة العلامات في جميع الصّيغ الدّالة.

---

[1]- محمود عكّاشة، التّحليل اللّغويّ في ضوء علم الدّلالة، دار النّشر للجامعات، القاهرة، ط2، 2011 ص9.

[2]- محمّد سعد محمّد، في علم الدّلالة، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط1، 2002، ص13.

[3]- نور الهدى لوشن، علم الدّلالة (دراسة وتطبيق)، ص31.

[4]- محمّد محمّد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدّلالة في العربيّة، دار المدار الإسلامي ط22007،ص89

ثانيا/ مفهوم الصّوت:

يشكّل الصّوت الانساني مادّة اللّغة الأولى في الدّراسة اللّغوية؛ لأنّ كلّ أمّة أو كلّ جماعة لغويّة تعتمد منهجًا محدّدًا ومميّزًا في صوغ كلماتها من الأصوات الّتي ينتجها<<الجهاز النّطقي>> الانسانيّ، لهذا كان الدّرس اللّغويّ عامّة، والدّرس الصّوتي خاصّة من أقدم الدّراسات الّتي شغلت الباحث واحتلّت منه موضع العناية والاهتمام فاستطاع بفضل جهود العلماء والباحثين الوصول إلى نتائج علميّة يُشهد لها في ميدان البحث والدّرس الصّوتي.

أ. لغة:

يُعرّف ابن منظور الصّوت بقوله: الجرس، معروف مذكر[...]، وقد صات يصوت ويصات، صوتًا، وأصات، وصوّت به: كلّه نادى. ويقال: صوّت يصوّت تصويتًا، فهو مصوّت، وذلك إذا صوّت بانسان فدعاه، ويقال: صات يصوت صوتاً، فهو صائت، معناه صائح،[...]، وكلّ ضرب من الغناء صوت، والجمع الأصوات، وقوله عزّ وجلّ: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ...**﴾ **[الإسراء/64]**؛ قيل بأصوات الغناء والمزامير[1].

ورد الصّوت عند ابن منظور بعدّة معانٍ منها: الجرس، الدّعوة، وكلّ نوع من الغناء والمزامير، واتّفق في ذلك مع تعريف الفيروز أبادي؛حيث يقول: الصّوت صات يصوت ويصات، نادى كأصوات، وصوت ورجل صات: صيت، والصِّيت بالكسر: الذِّكر الحسن كالصّات، والصّوت، والصّيتة، والمطرقة، والصّائح والصّيقل والمصوات المصوت وانصات أجاب وأقبل، وذهب في ثوار[2].

---

[1]– لسان العرب، ص424، 425.

[2]– القاموس المحيط، تح: أنس محمّد الشّامي وزكريّاء جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، دط، 2008 مادّة (صَ، وَ، تَ)، ج1، ص955.

وجاء في معجم الوسيط: الصّوت الأثر السّمعيّالّذي تحدثه تموّجات ناشئة من اهتزاز جسم ما[...]، يقال غنّى صوتاً(وهو مذكّر، وقد أنّثه بعضهم، و–الذّكر الحسن– والرّأي تبديه كتابة أو مشافهة في موضوع يقرّر أو شخص ينتخب[...]، (ج) أصوات، (واسم الصّوت): عند النّحاة: كل لفظ حكي به صوت، أو صوّت به لزجر، أو دعاء، أو تعجّب أو توجّع، أو تحسّر[1]؛ ويقصد به أنّ الصّوت هو الذّبذبات الّتي يصدرها المتكلم في شكل تموّجات تلتقطها أذن السّامع، كما ورد في شكل صيغ مختلفة مثل: الدّعاء التعجّب...إلخ.

ب. اصطلاحا:

يعدّ العرب من الباحثين السبآّقين في دراسة أصوات لغتهم، فقدمّوا في هذا الشأن بحوثاً قيّمة شهد لها المحدّثون، وهذه البحوث والدّراسات تعدّدت بتعددّ الدّارسين لها، وهو ما أدّى إلى تعدّد تعريفات الصوّت قديماً وحديثاً.

ومن العلماء القدامى الّذين اهتمّوا بالصّوت وعرّفوه الجاحظ **(ت255هـ)** الّذي يعدّه جوهر الكلام ومادّته حيث يقول: (الصّوت هو آلة اللّفظ، والجوهر الّذي يقوم به التّقطيع، وبه يوجد التّأليف، ولن تكون حركات اللّسان لفظاً، ولا كلاماً موزوناً، ولا منثوراً إلاّ بظهور الصّوت ولا تكون الحروف كلاماً وإلاّ بالتّقطيع والتأليف)[2].

فالصّوت من وجهة نظر الجاحظ هو الآلة الّتي تنتج اللّفظ، وهو الأساس الّذي تقوم عليه هذه اللّفظة الّتي تتألّف بدورها من مجموعة مقاطع، والمقطع يتكوّن من مجموعة حروف، والحروف عبارة عن أصوات تشكّل بدورها كلمة تلفظ.

---

[1]– ابراهيم مصطفى وآخرون، ص546، 547.

[2]– البيان والتبيين، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص79.

وممّن أمعن النّظر في حدوث الصّوت وتحدّث عنه ابن جنّي **(ت392هـ)** بقوله: (اعلم أن الصّوت عَرَضٌ يخرج مع النّفس مستطيلاً متّصلاً حتّى يعرض له في الحلق والفم والشّفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمّى المقطع أينما عرض له حرفا وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها)[1].

ذكر ابن جني في تعريفه كيفيّة خروج الهواء، وكيفيّة تشكّل الحرف، والحواجز الّتي يلقاها هذا الأخير عند خروجه من الرّئتين، ووضع قاعدة ثابتة لطريقة النّقل الصّوتي من مخرجه المتعارف عليه (طريقة نطق الأصوات)، وكان على وعي تامٍّ بجهاز النّطق حيث ذكر: الحلق، الفم، الشّفتين.

أمّا فيما يخصّ المقطع فله دلالتان: مكان خروج الصّوت والصّوت نفسه.

ومن بين العلماء المحدثين الّذين أعطوا تعريفاً دقيقاً للصّوت تمّام حسّان الّذي يقول: (الصّوت عمليّة حركيّة يقوم بها الجهاز النّطقي، وتصحبها آثار سمعيّة معيّنة، تأتي من تحريك الهواء فيها بين مصدر إرسال الصّوت وهو الجهاز النّطقي، ومركز استقباله هو الأذن)[2]؛ بمعنى أنّ عمليّة إنتاج الصّوت تتطلّب حركة يحدثها جهاز النّطق، هذه الحركة تتمثّل في حركة الفمّ والشّفتين واللّسان الّتي يقوم بها المتكلّم، فنلاحظ أثراً سمعيًّا ينتقل في الهواء وهو مرتبط بهذه الحركات الصّادرة من المتكلّم إلى أذن السّامع، وبالتالي فإنتاج الصّوت يتطلّب مصدر إنتاج وإرسال واستقبال.

يعدّ عنصر الاعتراض من أهم شروط حدوث الصّوت اللّغوي، وتمّام حسّان يرى بأنّ الصّوت أثر حسّي ينتج عن احتكاك الهواء بأعضاء جهاز النّطق.

---

[1]- سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دط، دت، ص6.

[2]- اللّغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، دط، 1994، ص66.

ويوسّع كمال بشر مجال الصّوت بقوله: (الصوّت اللّغوي أثر سمعيٌّ يصدر طواعيّة واختياراً عن تلك الأعضاء المسمّاة تجاوزاً أعضاء النّطق)[1]؛ بمعنى أنّ هذا الأثر متولّد من اهتزاز جسم يظهر على شكل ذبذبات تناسب حركة الفم، والمتكلّم حتّى يحصل على الأصوات اللّغوية لا بدّ أن يبذل مجهوداً ما من خلال وضع أعضاء النّطق في الوضع الّذيتقتضيه.

ثالثًا/ مفهوم الدّلالة الصّوتية:

تعدّ الدّلالة الصّوتية من أهمّ جوانب الدّراسة الدّلالية، وذلك من خلال طبيعة الأصوات المستخدمة في أيّ نصٍّ من النّصوص الأدبيّة، الّتي يقصد بها ما تؤدّيه الأصوات اللّغوية المكوّنة لبنية الكلمة من دور في إظهار المعنى[2].

وهي ما يكون بين أصوات بعض الكلمات، وطرائق نطقها وبين معانيها من ارتباط...ومن ذلك كلمتا (النّضح) و (النّضخ)، فكلاهما لسيلان الماء ونحوه، إلاّ أنّ الأوّل سيلان ضعيف فناسبته الحاء الرّقيقة، والثّاني سيلان قويّ فناسبته الخاء الغليظة[3].

فنجد فرقاً بين (النّضح) و (النّضخ) على اعتبار أنّ الخاء أوفى صوتا من الحاء وأغلظ، فكان لها دلالة القوّة في انسياب الماء، على حين حملت الحاء دلالة الضّعف[4].

---

[1]– علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، دط، 2000، ص119.

[2]– صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدّلالة الصّوتية في اللّغة العربيّة، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، ط2، 2006، ص44.

[3]– عبد الغفّار حامد هلال، علم الدّلالة اللّغوية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2013، ص28.

[4]– ينظر: جنان صاحب كطافة الموسوي، الدّلالة الصّوتية وأثرها في بيان المعنى (آيات المعاد أنموذجاً)، مجلّة كلّية التّربية للبنات العلوم الانسانية، جامعة الكوفة، ع 10، 2014، ص17.

وهنا تتّضح القيمة التّعبيرية للصّوت المستوحاة من خصائص الصّوت نفسه، فربطت بذلك الأصوات اللّينة مع المعاني اللّينة، والأصوات القوّية مع المعاني القويّة.

وهذا يعني أنّ الدّلالة الصّوتية تقوم على أساس التّراكيب الصّوتية وتبادليّة المواقع فللجانب الصّوتي تأثير بالغ في تحديد المعنى ووضع صوت مكان آخر في اللّفظ يؤدي حتماً إلى تغيّر المعنى سواء كان هذا التّغير جزئيًّا أم كليًّا.

وتتحقّق الدّلالة الصّوتية في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة، وتسمّى بالعناصر الصّوتية الرّئيسية، والّتي يرمز إليها بالحروف الأبجديّة: أ، ب، ت...، ويشكّل منها مجموع حروف الكلمة الّتي ترمز إلى معنى معجمي.

وتتحقّق كذلك من مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصّوتي، ومظاهر هذا الأداء، وتسمّى بالعناصر الصّوتية الثانويّة، وتعدّ هذه العناصر أكثر إسهاماً في الدّلالة[1].

بمعنى الدّلالة الصّوتية تُحدّد من خلال الأصوات المكوّنة للكلمة مثلاً: قام بوحداتها الصّوتية تدل على القيام، أي أنّنا وقفنا على الحدث من خلال لفظ الفعل، كما تتحقّق كذلك من خلال ترتيب الكلمات على نسق معيّن، ووفق نظام ما؛ وذلك انطلاقاً من الأصوات اللّغوية الصّادرة من جهاز النّطق لتكوّن في النهاية جملة ذات دلالة.

وعَرف اللّغويون العرب هذا النوع من الدّلالة منذ القديم ومنهم العلاّمة ابن جنّي **(ت392هـ)**، ويطلق عليها الدّلالة اللّفظية، وهي عنده أقوى الدّلالات، وقد اهتمّ بدراستها في (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني) حيث يقول:(فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب (أي ثابت) عند عارفيه مأموم، وذلك أنّهم كثيراً

[1]– محمود عكّاشة، التّحليل اللّغوي في ضوء علم الدّلالة، مصر، ط1، 2005، ص17، 18.

ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر عنها، فيعدّلونها ويحتذونها عليها وذلك أكثر ممّا نقدره وأضعاف ما نستشعره)[1].

يوضّح ابن جنّي في هذا الباب الصّلة بين الألفاظ ومعانيها مثل: النّضح والنّضخ والفرح والتّرح...إلخ، فيربط بين الصّوت والمعنى فيجعلهما متشابهين ويدلّ على المعنى الضّعيف بأصوات ضعيفة، وعلى المعنى القوي بأصوات قويّة، ويصرّح بأنه بابٌ عظيم وواسعٌ.

كما عرّفها المحدثون ومنهم إبراهيم أنيس بقوله: (وهي المستمدّة من عمليّات النّطق ومن طبيعة بعض الأصوات في المنطوق به، ومن النّبر الّذي تتغيّر له الدّلالة، ومن النّغمة الكلاميّة[2]؛بمعنى أنّ الأصوات تمثّل الجانب العملي للّغة، فهي في ركنها الأوّل أصوات على حدّ تعبير ابن جني: (اللّغة هي أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم)[3]، والدّلالة الصّوتية الطّبيعية تستمدّ من طبيعة هذه الأصوات، كما يمثّل النّبر شكل من أشكال التّأثير في الدّلالة، كأن ينظر المتحدّث للمقطع الأهم في الكلمة، ويعدّ من التّأثيرات الصّوتية المهمّة الّتي قد تغيّر دلالة اللّفظ أو التّركيب اللّغوي بشكل تام.

ويرى همبلت**Humbaldt (ت1835)** أنّ أصل الدّلالة هي الصّوتية، وأنّ<<الكلمات بدأت واضحة الصلّة بين أصواتها ودلالاتها ثمّ تطوّرت تلك الأصوات أو تلك الدّلالات وأصبحت الصّلة غامضة علينا>>[4].

---

[1]– فريد عوض حيدر، علم الدّلالة: دراسة نظريّة وتطبيقيّة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005 ص43.

[2]– دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط3، 1976، ص259.

[3]– الخصائص، تح: محمّد عليّ النجّار، دار الكتب المصريّة، دط، دت، ج1، ص33.

[4]– صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدّلالة الصّوتية في اللّغة العربيّة، ص58.

وعليه فمصطلح الدّلالة الصّوتية هذا يطلق على جانب محدّد من الجوانب الّتي تعكس العلاقة بين أصوات الكلمة العربيّة ومعانيها، حيث يتجلّى أثر مساهمة الصّوت في المعنى بما له من خصائص تميّزه عن غيره في السّمع[1].

رابعًا/علاقة الصّوت بالدّلالة:

أوْلى علماء العربيّة –قديماً وحديثاً– لغتهم اهتماماً كبيراً، وناقشوا مسائلها وقضاياها المختلفة، واستطاعوا في كثير من الأحيان أن يقولوا فيها قولا فصلا، بما أوتوا من عمق في النّظر، وشمول في الرّؤية، ودقّة في التّحليل، وثمّة مسألة شغلت حيّزاً واسعاً في كتابات العلماء والمفكّرين، والفلاسفة القدامى، ونالت قسطاً كبيراً من اهتمامهم، وذلك نظراً لأهمّيتها وارتباطها بكثير من العلوم والمجالات، وهذه المسألة تتمثّل في العلاقة بين الأصوات ودلالاتها، ونجد نظراتهم إليها متباينة، بين متحمّس لها مغالٍ في إثباتها، وبين رافض لها منكر لمن أقرّها، وما تزال هذه المسألة من أشدّ مباحث علم اللّغة تعقيداً حتّى وصلت ثناياها إلى العلماء المحدثين، وسنعرض فيما يأتي أهمّ آراء العلماء والجدل الّذي دار في هذه القضيّة.

أ. الصّوت والدّلالة عند الفلاسفة اليونان واللّغويين الهنود:

تتلخّص آراوهم بين مؤيد لوجود علاقة طبيعيّة بين الصّوت ومدلوله، وبين رافض لوجود مثل تلك العلاقة، وهناك موقف اتّخذ جانب الوسط وحاول التّوفيق بين الرّأيين.

حيث تشير الدّراسات الحديثة إلى أنّ جماعة من الفلاسفة والمناطقة واللّغويين في مختلف اللّغات عالجت فكرة العلاقة بين الصّوت والدّلالة، وأسهب في دراستها فلاسفة اليونان

[1]– محمّد الأمين خويلد، ماهيّة الدلالة الصّوتية، الأثير مجلّة الآداب واللّغات، ورقلة، الجزائر، ع2، ماي 2003، ص183.

وساءلوا أنفسهم عن طبيعة العلاقة بين أصوات الكلمة ومدلولها، وعمّا إذا كانت هذه العلاقة تتضمّن ناحية رمزية توثّق بين تلك الأصوات، وما تدلّ عليه الكلمات من أمور ندركها بالحواس والعقول، أم أنّ الأمر لا يعدو مجرّد مصادفة[1].

بحيث انقسموا إلى قسمين: فريق قال بأنّ العلاقة بين اللّفظ (الصّوت) ومدلوله(معناه) علاقة طبيعيّة، ومن أشهر القائلين بهذا هيراقليطس الّذي ذهب إلى أنّ: "المناسبة بين اللّفظ ومدلوله ضروريّة وأنّ الأسماء بأصواتها تستطيع أن ترسم جواهر الأشياء وأن تنطق بماهيتها بأعيانها"[2].

فمعرفة دلالات الكلمة حسب رأيهيراقليطس يتوقّف بالدّرجة الأولى على سماع أصواتها، إذن فالعلاقة بين الدّال والمدلول حسبه علاقة مادّية تحاكي فيها الكلمات أصوات طبيعيّة.

وقال السّفسطائيّون في القرن الخامس قبل الميلاد، وأفلاطون(**Aphlatan**) (**347 ق.م**) في القرن الرابع قبل الميلاد بوجود صلة طبيعيّة بين اللّفظ ومدلوله، وإن لم يستطيعوا إثبات هذه الصّلة في بعض الألفاظ لجأوا إلى افتراض:<<أنّ تلك الصّلة الطّبيعية كانت واضحة سهلة التّفسير في بدء نشأتها، ثمّ تطوّرت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نتبيّن بوضوح تلك الصّلة أو نجد لها تعليلاً أو تفسيراً>>[3].

وعليه فأفلاطون يفترض أنّ الصّلة بين اللّفظ ومدلوله كانت طبيعيّة واضحة منذ بدايتها، ثمّ أصبح من الصّعب تحديد تلك الصّلة بعد تطوّر الألفاظ.

---

[1]– خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، عمّان، الأردن ط1، 2006، ص14.

[2]– صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدّلالة الصّوتية في اللّغة العربيّة، ص33.

[3]– عبد القادر أبو شريفة وأخران، علم الدّلالة والمعجم العربي، دار الفكر للنّشر والتوزيع، عمّان، ط1 1989، ص21.

وفريق ثاني يصرّح بالعلاقة العرفية بين اللّفظ ومدلوله، وأنّ الصّلة الطّبيعيّة لم تكن الرّأي العام لفلاسفة اليونان، وعلى رأسهم ديمقريطس من فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد يرفض الرّأي الأول، ويبرهن أنّ العلاقة بين اللّفظ ومدلوله مكتسبة، وباتّفاق النّاس الّذين يستعملونها[1].

وهذا **أرسطو Aristatle(322 ق.م)** أيضاً يرفض فكرة أستاذه أفلاطون، ويرى أنّ الصّلة لا تعدو أن تكون اصطلاحيّة عرفيّة تواضع النّاس عليها[2].

وقد أوضح آراءه عن اللّغة وظواهرها في مقالات تحت عنوان:(الشّعر والخطابة) وبيّن فيها عرفية الصّلة بين اللّفظ ومعناه[3].

إذن أرسطو يدعو إلى تحطيم فكرة أفلاطون، ويرى أنّ العلاقة بين اللّفظ ومدلوله ناتجة عن اتّفاق وتراضٍ بين البشر.

أمّا سقراط فيمسك العصا من وسطها، فهو يرى أنّ بعض الألفاظ له صلة طبيعيّة بالمعنى، وبعضه الآخر ليس له صلة طبيعيّة، وإنّما اصطلح النّاس على الألفاظ لتدلّ على المعاني الّتي يريدون، وترسّخت هذه الألفاظ ومعانيها في الأذهان عن طريق التّكرار[4].

وعليه فسقراط اتّخذ موقفاً توفيقيّاً في هذه القضيّة، وحاول أن يوفّق بين من قالوا بالعلاقة الطّبيعية، ومن قالوا بالعلاقة الاصطلاحية.

---

[1]- ينظر: عبد الكريم مجاهد، الدّلالة اللّغوية عند العرب، دار الضّياء للنشر والتّوزيع، عمّان، دط، 1985، ص205.

[2]- عبد القادر أبو شريفة وأخران، علم الدلالة والمعجم العربي، ص21.

[3]- ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص63.

[4]- المرجع السّابق، ص21، 22.

وجذب هذا الموضوع اهتمام الهنود، ربّما قبل أن يجذب اهتمام اليونانيين، فقد تعدّدت حوله الآراء، فمنهم من رفض فكرة التّباين بين اللّفظ والمعنى قائلاً: (إنّ كل شيء يتصوّر مقترناً بالوحدة الكلاميةّ الدّالة عليه، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وعلى هذا فنحن نعتبر الكلمة عنصراً من العناصر المكوّنة للشّيء تماماً، كما نعتبر الطّين السّبب المادّي أو الرّئيس لكل المواد التّرابية، ومنهم من صرّح بأنّ العلاقة بين اللّفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية أو طبيعيّة، وربّما كان أصحاب هذا الرّأي هم أنفسهم الّذين يعتبرون نشأة اللغة على أساس من محاكاة الأصوات الموجودة في الطّبيعة[1].

ولم يتوصّل الفلاسفة اليونان، واللّغويين الهنود إلى حلٍّ حاسم في هذه المسألة، رغم المحاولات الّتي قاموا بها، بل امتدّت لتصل لعلمائنا العرب.

ب. الصّوت والدّلالة عند العلماء العرب:

اهتمّ علماؤنا العرب بقضية اللّفظ والمعنى، فبرز "الخليل" كأوّلمتحدّث عن هذه العلاقة، ثمّ تبعه تلميذه "سيبويه"، ووافقهم في ذلك "ابن جني" في كتابه الخصائص.

فحاول الخليل إثبات العلاقة الطّبيعيّة بين الصّوت والدّلالة، ويظهر ذلك من خلال قوله:(كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومدّاً فقالوا: صرّ وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر)[2].

فالخليل يوضّح من خلال مقولته هذه أنّ صوت الكلمة يحاكي معناها، فصوت الجندب فيه استطالة ومدّاً، لذا يناسبه صوت كلمة(صرّ) دون تقطيع، وصوت البازي فيه تقطيع لذا يناسبه صوت كلمة (صرصر) والّتي يلمس في طياتها تقطيعاً في النّطق، وعليه

[1]– أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 2006، ص18، 19.

[2]– ابن جنّي، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2001، ص505.

فالخليل يقرّ بأنّ اللّفظ له صلة طبيعيّة بمدلوله، مثلا: صوت الجندب والفعل صرّ هناك صلة بينهما.

وعقد سيبويه باباً في كتابه تحدّث فيه عمّا جاء على مثالٍ واحدٍ حين تقاربت المعاني ووقف على ظاهرة العلاقة بين الأصوات ودلالاتها، فلنتأمّل على سبيل المثال قوله: "ومن المصادر الّتي جاءت على مثالٍ واحدٍ، حيث تقاربت المعاني قولك: النّزوان والنّقران، وإنّما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثله العسلان والرّتكان...ومثل هذا الغليان، لأنّه زعزعة وتحرّك، ومثله الغثيان، لأنّه تجيش نفسه وتثور ومثله الخطران واللّمعان، لأنّ هذا اضطراب وتحرّك..."[1].

أكّد سيبويه هنا بوجود مناسبة طبيعيّة بين الأصوات ودلالتها، ولم يتوقّف عند هذا الحدّ، بل ربط كذلك بين بنية الكلمة اللّغويّة ومعناها من خلال حديثه عن مصدر (فعْلان) وما يدلّ عليه من زعزعة وتحرّك واضطراب مثلاً في قوله:"ومثل هذا الغليان لأنّه زعزعة وتحرّك، ومثله الغثيان، لأنّه تجيش نفسه وتثور".

كما نلمح في هذا النّص اشتراك المصادر(النّزوان، والنّقران، العسلان، الغثيان) في بنية صوتيّة واحدة هي صيغة (فعلان).

وكان ابن جنّي أكثر اللّغويين المتحمّسين لفكرة الصّلة بين اللّفظ والمدلول، إذ بسّط المسألة وأخذ على عاتقه تفتيقها وتفصيل دقائقها، حيث عقد لها فصولا أربعة في كتابه الخصائص متلمّساً هذه الصّلة فيما يعرض له من ظواهر صوتيّة...، والأبواب الّتي عقدها

[1]– الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط2، 1982، ج4، ص14.

هي: تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، والاشتقاق الأكبر، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وإمساس الألفاظ أشباه المعاني[1].

ففي فصل عنوانه <<في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني>>، يربط ابن جنّي بين كلمتي المسك والصّوار، فيقول: إنّ كلاّ منهما يجذب حاسّة من يشمّه؛ أي أنّ المسك في رأيه إنّما سمي كذلك لأنّه يمسك بحاسّة الشّم ويجتذبها، ويتّخذ ابن جنّي دليلاً على قوله من كلمة المسك بالفتح ومعناها الجلد؛ لأنّ الجلد يمسك ما تحته من جسم!![2].

وعليه ابن جنّي يضرب لنا مثلاً بكلمتي الصّوار وهي من مصدر (فعال) وكلمة المسك من (فعل)، وهما يلتقيان في المعنى، وإن كانا من أصلين مختلفين، وهذا ما يدلّ على أنّ الاسم الواحد له معانٍ متعدّدة، وهذه المعاني تقودنا إلى معاني أخرى مخالفة.

وفي باب(الاشتقاق الأكبر) يشير ابن جنّي إلى أنّ أصوات المادّة الواحدة مهما كان ترتيبها ترتدّ إلى معنى واحدٍ، وكأنّه بهذا يربط بين الألفاظ وما يصاغ منها وبين معانيها، ولو احتاج الأمر إلى التّأويل، وفي هذا يقول:" فإنّ شُذّ شيء من شعب هذه الأصول عن عقده ظاهراً، ردّ بالتّأويل إليه، وعُطف بالملاطفة عليه"[3].

يربابن جنّي أنّه مهما اختلفت حروف الكلمة فإنّها في النّهاية تحمل دلالة واحدة من حيث التّرتيب مثلاً: تقليب(ق.ل.م)، (ل.ق.م)، (ل.م.ق)، (م.ق.ل)، (م.ل.ق)، ومازال ابن جنّي يواصل ضرب الأمثلة ليؤكّد على العلاقة الطّبيعيّة بين اللّفظ ومعناه في بقيّة أبوابه ففي" باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" يرى أنّ تقارب الألفاظ ينتج عن تقارب المعاني

[1]– عبد الكريم مجاهد، علم اللّسان العربي: فقه اللّغة العربيّة، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2005، ص382.

[2]– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط5، 1984، ص65.

[3]– ابن جنّي، الخصائص، ص492.

فالهزّ والأزّ على سبيل المثال متقاربان في اللّفظ، ومتقاربان في المعنى، يقول ابن جنّي: من ذلك قول الله سبحانه:﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾[1] **[سورة مريم/ الآية 83]**.

أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزّهم هزّاً، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللّفظان لتقارب المعنيين، وكأنّهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنّها أقوى من الهاء والأزّ أعظم من الهزّ؛ لأنّك قد تهزّ مالا بال له كالجذع، وساق الشّجرة ونحو ذلك[2].

وعليهفابن جنّي ربط الأصوات بمعانيها وذلك انطلاقاً من تقاربها في الصّفات والمخارج، والّذي يؤدّي بدوره إلى الاتّفاق في المعنى أو تقاربه.

وفي باب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" يركّز ابن جنّي على فكرة تقارب المعاني نتيجة لتقارب جرس الأصوات، ويفرّق بين المعاني نتيجة لاختلاف الجرس، ولكي يدلّل على صدق مقولته راح يعقّد صلات شتّى كالصّلة بين الوزن الصّرفي وما يوحي به من معنى كالمصادر الّتي جاءت على وزن(فعلان)؛ فهي عند سيبويه –كما مرّ– تأتي للاضطراب والحركة، وهي عند ابن جنّي تدلّ كذلك على الحركة والخفّة[3].

ونخلص ممّا سبق أنّ المجهودات الّتي جاء بها علماؤنا العرب في مجال الأصوات اللّغوية تعدّ بمثابة أساس انطلق منه كل من جاء من بعدهم.

---

[1]– خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم، ص27.

[2]– هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي في التّراث العربي، دار الأمل، الأردن، ط1، 2007، ص197.

[3]– المرجع السّابق، ص28.

ج. الصّوت والدّلالة عند العلماء العرب والغرب المحدثين:

لم يقتصر البحث في العلاقة بين الصّوت والدّلالة على الفلاسفة واللّغويين المتقدّمين فحسب، بل تعدّى ذلك للمحدثين العرب منهم والغرب، وكانت لهم آراء متباينة بين قائل بالعلاقة الطّبيعيّة ورافض لذلك وقائل بالعلاقة الاصطلاحية.

ويأتي أحمد فارس الشّدياق في مقدّمة الفريق الأوّل، الّذي ألّف عدداً من الكتب كان جلّ اهتمامه فيها منصبّاً على العلاقة بين الأصوات ودلالتها، فتحدّث عن هذه القضيّةوأشار إليها في كتابه "السّاق على السّاق"، وذكر في مقدّمة هذا الأخير "أنّ كلّ حرف يختصّ بمعنى من المعاني دون غيره، وهو من أسرار اللّغة العربيّة الّتي قلّ من تنبّه لها، وقد وضعت لهذا كتاباً مخصوصاً سمّيته (منتهى العجب في خصائص لغة العرب)"[1].

وناقش فيه العلاقة بين الحرف والمعنى الّذي يرمز إليه، كما تناول الشّدياق هذه الحروف بالدّقة في الدّراسة وأشار إلى المعاني الّتي يوحي بها كل حرف قائلاً:<<من خصائص حرف (الحاء) السّعة والانبساط، نحو: الإبتاح، والبداح، والبراح، والأبطح(...) ومن خصائص حرف(الدّال): اللّين والنّعومة والفضاضة...الفرهد والأملود والقشدة...>>[2].

وعليه فالشّدياق سار مسار ابن جنّي ويبدو ذلك واضحاً من خلال الآراء الّتي أوردها في العلاقة بين الأصوات ودلالتها، فنجده يردّد ما قاله ابن جنّي، ويتوسّع فيه خاصّة في الباب الموسوم بقوّة اللّفظ لقوة المعنى وهو لم يأت بجديد.

أمّا صبحي الصّالح فإنّه يقدّم لموضوع الدّلالة الصّوتية بأسلوب يدلّ على أنّه من أكثر لغويّي العربيّة تحمّساً للموضوع؛ فقد خصّص في كتابه<<دراسات في فقه اللّغة>> باباً

[1]– خالد قاسم بني دومي، دلالات الظّاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم، ص59.

[2]– عزّاز حسنيّة، العلاقة بين الصّوت والدّلالة من منظور علماء اللّغة العرب المحدثين، مجلّة تاريخ العلوم، جامعة سيدي بلعبّاس، ع8، جوان 2017، ج2، ص3.

للحديث عن مناسبة أصوات العربيّة لمعانيها فيقول:" أمّا الّذي نريد الآن بيانه فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربيّة لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التّعبيرية الموحية...فكل حرف منها يستقلّ ببيان معنى خاصٍّ ما دام يستقلّ بإحداث صوت معيّن، وكلّ حرف له ظلّ واشعاع، إذا كان لكلّ حرف صدى وايقاع"[1].

استدلّ صبحي الصّالح من خلال هذا القول على فكرة العلاقة بين الصّوت والدّلالة، وذلك انطلاقاً من الأساس المتمثّل في أنّ كل صوت يستقلّ ببيان معنى خاص ما دام يستقلّ بإحداث صوت معيّن، وهذا الأساس يقابل فكرة التّرادف في العربيّة، لكن الاختلاف الصّوتي بين الكلمات المترادفة ينفي فكرة التّرادف بينهما.

ويؤيّد محمّد المبارك فكرة العلاقة بين الصّوت والدّلالة باندفاع، ويرى في ثقة تامّة أنّه إن لم يدل الحرف بصوته على المعنى قطعاً، فالصّوت يوحي به على الأقلّ حيث يقول: " ونستطيع أن نقول في غير ترددّ إنّ للحرف في اللّغة العربيّة إيحاءٌ خاصّاً، فهو إن لم يكن يدلّ دلالة قاطعة على المعنى، يدلّ دلالة اتجاه وإيحاء ويثير في النّفس جوّاً يهيّئ لقبول المعنى ويوجّه إليه ويوحي به"[2].

ويذهب محمّد المبارك إلى نفس ما ذهب إليه صبحي الصّالح في تأكيد فكرة مناسبة حروف العربيّة لمعانيها، فهو يرى أنّ لكلّ حرفٍ صوته صفة ومخرجاً، ولكلّ حرف إيحاءه دلالةٌ ومعنى.

ومن المنكرين بوجود علاقة طبيعيّة بين اللّفظ ومعناه، والّذين يقرّون بالعلاقة الاصطلاحية العرفيّة المكتسبة إبراهيم أنيس، إذ يرى أنّ الصّلة لم تولد بمولد اللّفظة، وإنّما تكتسبها بكثرة التّداول مع مرور الأيّام، فقد يهتدي إلى العلاقة أو يوضّحها شخص مثقّف أو

[1]– صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط12، 1981، ص142.

[2]– محمّد المبارك، فقه اللّغة وخصائص العربيّة، دار الفكر، بيروت، ط5، 1972، ص261.

موهوب فيلفت النّظر إلى وجود علاقة بين اللّفظ ومدلوله، فإنّ صادق ذلك قبولاً من النّاس تبدأ عمليّة الرّبط، ولا سيما أنّ الذّهن الانساني يميل في تعلّمه إلى الرّبط بين اللّفظ ومدلوله لتزداد قدرته على الاستيعاب[1].

وعليه فإبراهيم أنيس انطلق من فكرة أنّ العلاقة بين اللّفظ ومعناه علاقة مكتسبة حيث تكتسب انطلاقاً من الاستعمال المتواصل عبر الزّمن، وقد يلفت النّظر شخص ما إلى وجود هذه العلاقة ويقنع النّاس بها، فإذا حصل ذلك ولاقت استحساناً وقبولاً من النّاس تبدأ عمليّة الرّبط، خاصة أنّ الانسان في فهمه للأشياء يربطها بمدلولاتها.

ويسوق جسبرسن أمثلة للنّواحي الّتييلحظ فيها وثوق الصّلة بين الألفاظ ومدلولاتها منها على سبيل المثال: الألفاظ الّتي تعدّ بمثابة الصّدى لأصوات الطّبيعة، وهو ما يسمّى بـ (الأونوماتوبيا) والألفاظ الّتي ترتبط بدلالتها في بعض الحالات النّفسيّة، كالكلمات الّتي تعبّر عن مشاعر الغضب أو النّفور أو الكره.[2]

ومن أبرز من عارض هذه العلاقة أيضاً، اللّغوي السّويسري فرديناند دي سوسيروذلك من خلال نظرية اعتباطيّة العلامة اللّغويّة، وضرب لذلك مثلا بكلمة أخت فيقول: <<إنّ مدلول أخت لا توجد أيّة صلة بينه وبين تعاقب الأصوات(أ.خ.ت)>>[3].

وعليه ديسوسير يرفض رفضاً مطلقاً وجود أيّة علاقة بين كلمة(أخت) وبين ما تدلّ عليه من معنى.

---

[1]– عبد القادر أبو شريفة، علم الدّلالة والمعجم العربي، ص32.

[2]– ينظر: ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص69، 70.

[3]– مراد عبد الرّحمان مبروك، من الصّوت إلى النّص، دار الوفاء للنّشر، مصر، ط1، 2002، ص102.

خامسًا/ مخارج الأصوات:

-مفهوم المخرج:

أ. لغة:يعرّف ابن منظور المخرج بقوله: خرج: الخروج نقيض الدّخول، خرج يخرج خروجاً ومخرجاً، فهو خارج وخروج وخراج، وقد يكون المخرج موضع الخروج[1].وعليه فالمخرج هو موضع خروج الحرف.

ب.اصطلاحاً:

اختلفت آراء العلماء في تحديد مفهوم المخرج فهو موضع النّطق، وهو المدرج أو الحيّز، والمحبس، وهناك من أطلق عليه مصطلح المقطع، وفيما يلي تفصيلها:

فالمخرج: هو موضع النّطقالّذي يخرج منه الصّوت.[2] ويقصد بالمخرج: (مسلك الصّوت في الجهاز النّطقي وموضع الخروج منه، ويتحدّد بأعضاء النّطق المشاركة في إخراجه)[3]، وقال أحمد بن الجزري:<< وهو عبارة عن الحيّز المولّد للحرف>>[4]، كماعرّفه أبو الإصبع السّماني الإشبيلي المعروف بإبن الطّحان(**ت560هـ**) بقوله:<<وهو محلّ الخروج، وموضع ظهور الصّوت، وتمييزه عن غيره من الأصوات، إذ المخرج نقطة يحدث فيها حبس الهواءأو

---

[1]- لسان العرب، مادة(خ، ر، ج)، ج14، ص1125.

[2]- رمضان عبد اللّه، أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات، مكتبة بستان المعرفة، الاسكندرية، ط1، 2006، ص46.

[3]- تارا فرهاد شاكر، المستوى الصّوتي من الظّواهر الصّوتية عند الزّركشي في البرهان، عالم الكتب الحديث، ط1، 2013، ص28.

[4]- ينظر: غانم قدّوري الحمد، الدّراسات الصّوتية عند علماء التّجويد، دار عمّار، عمّان، ط2، 2007 ص107.

تضييق مخرجه، بحيث يحدث الصّوت الّذي تسمعه، وهذه المخارج موزّعة على المدرج الصّوتي الّذي يمتدّ من الحنجرة إلى الشّفتين>>[1].

وهذه التّعريفات وان اختلفت إلاّ أنها تتّفق في أنّ المخرج هو نقطة معيّنة من جهاز النّطقالّتي ينشأ منها الحرف أو يظهر فيها، نتيجة لتضييق مجرى الهواء أو غلقه ثمّ إطلاقه.

وكان للخليل بن أحمد الفراهيدي(**ت175هـ**) الأثر الكبير في فكر من جاء بعده، وهو أمر أدّى إلى حدوث الاختلاف بين العلماء في عدد المخارج، فيرى أنّ عدد المخارج سبعة عشر مخرجاً، وهناك من يرى أنّها ثمانية مخارج، وسار سيبويه(**ت189هـ**) على خطى شيعة الخليل، فعنده المخارج ستة عشر، وذهب الفرّاء(**ت207هـ**) وقُطرب (**ت210هـ**) وابن كيسان(**ت299هـ**) إلى أنّ المخارج أربعة عشر مخرجاً، وهي عند ابن جنّي ت(**392هـ**) ستة عشر مخرجاً، ويرى بعضهم أنّها أحد عشر موضعاً.

حيث يقول ابن الجزري: (أما مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها فالصّحيح المختار عندنا ومن تقدّمنا من المحقّقين كالخليل بن أحمد ومكّي بن أبي طالب، وأبي القاسم الهذلي، وأبي الحسن شريح وغيرهم سبعة عشر مخرجاً، وهذا الرّأي يظهر من حيث الاختيار وهو الّذي أثبته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف)[2].

---

[1]– مخارج الحروف وصفاتها، تح: محمد يعقوب تركستاني، مركز الصّف الالكتروني، الريّاض،السّعودية ط1، 1984، ص22.

[2]– النّشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة عليّ محمّد الطبّاع، دار الفكر، دط، دت، ص198 .199

كما يصرّح كذلك ابن الجزري في الطيّبة تأكيدًا لما جاء به ابن سينا أنّ عدد مخارج الحروف سبعة عشر بقوله:

مَخَارِجُ الحُرُوفِ سبَعةَ عَشَرْ علَى الّذِي يختَارهُ مَن اخْتَبَرْ[1].

وحصل الاختلاف في عدد المخارج الصّوتية عند المحدثين أيضاً، فمنهم من جعلها تسعة، وبعضهم جعلها أحد عشر، وعند البعض الآخر عشرة.

وسنكتفي بذكر سيبويه من القدماء، كمال بشر من المحدثين لكي نبيّن ترتيب المخارج.

- عند القدماء:

قسّم سيبويه الأصوات العربيّة من حيث المخرج إلى ستة عشر مخرجاً حيث يقول: ولحروف العربيّة ستة عشر مخرجاً[2]، فللحلق منها ثلاثة:

1- فأقصاها مخرجاً: الهمزة والألف والهاء.

2- ومن أوسط الحلق مخرجاً: العين والحاء.

3- وأدناها مخرجاً من الفم: الغين والخاء.

4- ومن أقصى اللّسان، وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف.

5- ومن أسفل من موضع القاف من اللّسان قليلاً، وممّا يليه من الحنك الأعلى مخرج: الكاف.

6- ومن وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج: الجيم، والشّين والياء.

7- ومن بين أوّل حافة اللّسان، وما يليه من الأضراس مخرج: الضّاد.

---

[1]- شرح طيّبة النّشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2000، ص27.

[2]- سيبويه، الكتاب، ج2، ص405.

8- ومن حافّة اللّسان من أدناها إلى منتهى طرف اللّسان، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الضّاحك والنّاب والرّباعيّة والثّنية مخرج: اللّام.

9- ومن طرف اللّسان، بينه وبين ما فويق الثّنايا مخرج: النّون.

10-ومن مخرج النّون غير أنّه أدخل في ظهر اللّسان قليلا لانحرافه إلى اللّام مخرج: الرّاء

11- وممّا بين طرف اللّسان، وأصول الثّنايا مخرج: الطّاء، والدّال والتّاء.

12- وممّا بين طرف اللّسان وفويق الثّنايا مخرج: الزّاي والسّين والصّاد.

13- وممّا بين طرف اللّسان، وأطراف الثّنايا مخرج: الظّاء والذّال والثّاء.

14- ومن طرف باطن الشّفة السّفلى وأطراف الثّنايا العليا مخرج: الفاء.

15- وممّا بين الشّفتين مخرج: الباء والميم والواو.

16- ومن الخياشيم مخرج: النّون الخفيفة.

- عند المحدثين:

قسّم كمال بشر مخارج الأصوات إلى إحدى عشرة مخرجًا وهي[1]:

1- أصوات شفويّة وهي: الباء والميم.

2- أسنانيّة شفويّة وهي: الفاء.

3- أسنانيّة أو أصوات ما بين الأسنان وهي: الثّاء والذّال والظّاء.

4- أسنانيّة لثويّة وهي: التّاء والدّال والضّاد والطّاء واللّام.

5- لثويّة وهي: الرّاء والزّاي والسّين والصّاد.

6- أصوات لثويّة حنكيّة وهي: الجيم الفصيحة والشّين.

[1]- كمال بشر، علم الأصوات، ص183، 184.

7- أصوات وسط الحنك وهي: الياء.

8- أصوات أقصى الحنك وهي: الخاء والغين والكاف والواو.

9- أصوات لهويّةوهي: القاف.

10- أصوات حلقيّة وهي: العين والحاء.

11- أصوات حنجريّة وهي: الهمزة والهاء.

من خلال عرضنا لمخارج الأصوات العربيّة القديمة والحديثة يبدو أنّ هناك اختلاف، وينحصر هذا الاختلاف بين سيبويه وكمال بشر فيما يلي:

- الهمزة والهاء: عند سيبويه مخرجها من أقصى الحلق، أمّا عند كمال بشر مخرجها من الحنجرة.

- العين والحاء: عند سيبويه مخرجها من وسط الحلق، أمّا عند كمال بشر فمخرجها من الحلق.

- الغين والخاء: مخرجها عند سيبويه من الفم، وأقصى الحنك مخرجاً عند كمال بشر.

- القاف: مخرجه من اللّهاة عند كمال بشر، ومن أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى عند سيبويه.

- الكاف: مخرجها عند سيبويه من أسفل من موضع القاف ومن اللّسان قليلا وممّا يليه من الحنك الأعلى، أمّا عند كمال بشر فمخرجها من أقصى الحنك.

- الجيم والشيّن والياء: مخرجها عند سيبويه من وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى أمّا عند كمال بشر فهي لثويّة حنكيّة، والياء عنده فمخرجها من وسط الحنك.

- الطّاء والدّال والتّاء: مخرجها عند سيبويه من بين طرف اللّسان وأصول الثّنايا، أمّا عند كمال بشر فمخرجها من الأسنان واللّثة.

– الزّاي، السّين، الصّاد: عند سيبويه تخرج من بين طرف اللّسان وفويق الثّنايا، أمّا عند كمال بشر مخرجها من اللّثة.

– الظّاء والذّال والثّاء: مخرجها عند سيبويه من بين طرف اللّسان وأطراف الثّنايا، أمّا عند كمال بشر مخرجها من الأسنان.

– الباء، الميم، الواو: عند سيبويه تخرج من بين الشفتين، وعند كمال بشر من الشّفتين أيضا، والواو من أقصى الحنك.

– الفاء: مخرجها من باطن الشفّة السّفلى، وأطراف الثّنايا العليا عند سيبويه، ومن الأسنان والشّفة عند كمال بشر، كما نجدهما يختلفان في مخرج الضّاد، اللّام، والرّاء.

ويتبيّن لنا ممّا سبق أنّ الاختلاف حصل بين القدماء أنفسهم في عدد المخارج الصّوتية وكذلك القدماء والمحدثين، وبين المحدثين أنفسهم، ويرجع ذلك إلى احتمال حدوث تطوّر ما للأصوات العربيّة، من حيث مواضع نطقها؛ حيث نجد باحثاً ما ينسب مجموعة من الأصوات إلى مخرج معيّن، وينسب آخر الأصوات نفسها إلى مخرج آخر، وربّما يرجع ذلك الاختلاف إلى الملاحظة الذّاتيّة والخبرة الشّخصية بين المتكلّمين.

كما أنّ القدماء رتّبوا الأصوات والمخارج ترتيباً تصاعديّاً، أي أنّه يبدأ من أقصى الحلق إلى الشّفتين، والتّرتيب الشّائع الآن يبدأ من الشّفتين راجعاً إلى الحلق حتّى الحنجرة وهو ما لاحظناه عند بيان مواضع النّطق عند المحدثين مثل كمال بشر.

سادسًا/ صفات الأصوات:

– مفهوم الصّفة:

أ. لغة: وصف الشّيء له وعليه وصفاً وصفة: حلاّه، والهاء عوض من الواو، وقيل: الوصف المصدر والصّفة الحلية[...]، والوصف وصفك الشّيء بحليته ونعته.

وعليه فالوصف هو الحلية والنّعت[1].

ب. اصطلاحاً: الصّفات جمع صفة وهي كيفية حدوث الصّوت؛ أي الكيفيّة الّتي يخرج بها الصّوت إلى الوجود من العدم[2].

وصفة الصّوت هي الحالة الّتي يتّصف بها الصّوت اللّغوي عند إخراجه من حيث رخاوته أو شدّته أو جهره أو همسه أو ما أشبه هذه الصّفات[3]. وعليه فالصّفة هي ما يعترض الحرف عند النّطق به مثلاً: كجريان النّفس أو عدم جريانه.

ومن هذه الصّفات ما يلي:

1- الجهر:

أ. **لغة:** جهر: جهر الشّيء إذا ظهر وأجهرته أنا، وأجهر فلان ما في صدره، ورأيته جهرةً أي عِياناً، وجهر بكذا: أعلنه، وقد جهر بكلامه وقراءته: رفع بهما صوته[4]وعليه فالجهر هو العلانيّة والظّهور.

ب. اصطلاحا:الجهر هو انحياس مجرى النّفس عند النّطق بالصّوت لقوّته، وذلك لقوّة الاعتماد على مخرجه، أي أنّ مجرى الهواء يكون مغلقاً، فيحدث ضغط هواء الزّفير تذبذباً في الوترين الصّوتيين، فيصدر الصّوت المجهور[5].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، د تح، دار صادر، بيروت، دط، دت، مادّة (و. ص. ف)، ج9، ص356.

[2]- خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط2، ص2006، ص54.

[3]- تارا فرهاد شاكر، المستوى الصّوتي من الظّواهر الصّوتية عند الزّركشي في البرهان، ص34.

[4]- أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1، ص159.

[5]- عصام نور الدّين، السّلسلة الألسنيّة علم الأصوات اللّغوية الفونتيكا، دار الفكر اللّبناني، بيروت ط1، 1992، ص197.

كما أنّ المجهور هو: حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النّفس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصّوت، فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، إلاّ أنّ النّون والميم قد يعتمد لها في الفمّ والخياشيم فتصير فيهما غنّة.[1]

وهذا يعني أنّ المجهور صوت متمكّن وفيه وضوح وقوّة، ويحدث نتيجة اقتراب الوترين الصّوتيين أثناء مرور الهواء مع حدوث ذبذبات لهذين الوترين.

2- الهمس:

أ. لغة: الخفيّ من الصّوت[...]، الهمس: الكلام الخفيّ لا يكاد يفهم،[...]، والشّيطان يوسوس في همس في صدر ابن آدم...[2].

ب.اصطلاحاً: المهموس حرف أُضْعِفَ الاعتماد في موضعه حتّى جرى النَّفَسُ معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعبترت، فردّدت الحرف مع جري النّفس[3]. وعليه فمعيار الفصل بين الجهر والهمس هو جري النّفس أو عدمه، وتذبذب الوترين الصّوتيين أو عدم التّذبذب.

3- الشدّة:

أ. لغة: شدد: رجل شديد وشديد القوى[...] وشدّه الله: قوّاه بشدّه فاشتدّ،[...] وامش في شدّة الأرض وصلابتها.

وقايست من فلان الشدّة، وبلغ أشدّه، وفلان شديد ومتشدّد: بخيل[4].فالصّوت الشّديد إذا هو ذلك الصّوت الّذي نجد فيه قوّة عند نطقه.

---

[1]- سيبويه، الكتاب، ج4، ص434.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادّة (هـ. م. س)، ج6، ص250.

[3]- المرجع السّابق، ج4، ص434.

[4]- الزّمخشري، أساس البلاغة، ص498.

ب. اصطلاحاً: الشّديد هو الّذي يمنع الصّوت أن يجري فيه، وهذا هو الانحباس المؤقّت الّذي نحسّ به في مخرج الحرف لحظة قصيرة جدّاً بسبب التقاء العضوين التقاء محكماً، فإذا انفرجا فجأة سمعنا ما يسمّى بالصّوت الشّديد[1]. لذا وصف الحرف الشّديد بأنّه وقفي، حبسي انفجاري[2].فالشّديد إذًا هو انحباس الصّوت عند النّطق بالحرف، ويحدث نتيجة التصاق عضوين من أعضاء النّطق مع بعضهما ثمّ انفتاحهما فينفجر بذلك الصّوت.

4- الرّخاوة:

أ. لغة: الرّخو والرَّخوُ والرُّخوُ الهشّ من كلّ شيء؛ غيّره: وهو الشّيء الّذي فيه رخاوة[...] وأرخى الرّباط ورخاه جعله رخواً وفيه رخوة ورخوة أي استرخاء، وفرسٌ رخوة أي سهلة مسترسلة[3]. فالشّيء الرّخو إذًا هو الهشّ.

ب. اصطلاحاً:الرّخو هو الّذي لا ينحبس الهواء في مخرجه حبساً تامّاً؛ وذلك بأنْ يضيق مجرى النّفس باقتراب عضوين من أعضاء آلة النّطق نحو بعضهما في مخرج الحرف، دون أن يقفلا المجرى، فيحدث النّفس في أثناء مروره بمخرج الصّوت حفيفاً مسموعاً تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى، وذلك مثل صوت السّين والزّاي والحاء وغيرهما.[4]

وسمّيت بذلك للينها وضعف الاعتماد عليها في مخرجها فلم تقو على منع الصّوت معها...وتسمّى الرّخاوة في علم الدّراسات الصّوتية الحديثة بالأصوات الاحتكاكيّة[5]. وعليه

---

[1]- ابراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1985، ص125.

[2]- سعد محمّد عبد الغفّار، خارطة التّراث الصّوتي عند العرب، دار المعرفة الجامعية، الاسكندريّة، دط، 2015، ص33.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، باب الرّاء، ج18، ص1618.

[4]- غانم قدّوري الحمد، الدّراسات الصّوتية عند علماء التّجويد، ص122.

[5]- عبد القادر حاج علي، المفاهيم الصّوتية في تهذيب اللّغة في ضوء الدّرس الصّوتي الحديث، دار الكتاب الحديث، دط، دت، ص166، 167.

فالأصوات الرّخوة هي أصوات احتكاكية، ومعها يضيق مجرى الهواء، ممّا يجعل الهواء يُحتكّ أثناء خروجه.

5 – الإطباق:

أ. لغة: طبق <<وافق شنّ طبقه>>: غطاءه،[...] وأطبقت الرّحى إذا وضعت الطّبق الأعلى على الأسفل،[...] وليس هذا بطبق لذا أي بمطابق له[1].

ب. اصطلاحاً: الإطباق هو ارتفاع مؤخِّرة اللّسان وأسلته نحو سقف الفم محدثاً تقعّراً في وسطه وهو ما يحدث تفخيماً ملحوظاً في الأصوات المطبقة وهي تمثّل عند النّطق بها أقصى درجات الاستعلاء نظراً للعلوّ الّذي يتّخذه اللّسان[2].

وعند تروبتسكوي: هو نطق صامتي ثانوي يكمن في تأخير أصل اللّسان، ممّا يؤدّي إلى ضغط على مستوى الحلق[3]؛أي الإطباق هو رفع ظهر اللّسان إلى الحنك الأعلى، حيث يصبح مطبقا له، وينتج بذلك ما يسمّى بالصّوت المطبق.

6– الانفتاح:

أ. لغة: فتح: كمنع: ضّد أغلق، كَفَتَحَ وافتتح، والفَتْحُ: الماء الجاري، والنّصر،[...] الافتتاح والمفتاح: آلة الفتح، كالمفتح، وسمة في الفخذ والعنق[4].

ب.اصطلاحاً: هو انفراج ما بين اللّسان والحنك العلوي عند النّطق بالحرف بحيث لا ينحصر

---

[1]– الزمخشري، أساس البلاغة، باب الطّاء، ص594.

[2]– عبد القادر حاج علي، المفاهيم الصّوتية في تهذيب اللّغة في ضوء الدّرس الصّوتي الحديث، ص181.

[3]– مصطفى حركات، الصّوتيات والفونولوجيا، الدّار النّموذجية، بيروت، ط1، 1998، ص54.

[4]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط8 2005، ص233.

الصّوت بينهما[1].وهو صفة تتميز بها غالبيّة الأصوات، وهي عكس الإطباق وتتشكّل هيأتها بأن ينفتح ما بين اللّسان والحنك الأعلى بحيث يسمح بجريان الهواء دون عائق عند النّطق بها[2]؛ بمعنى الانفتاح ضدّ الإطباق، وهو عدم تفخيم الصّوت ويكون اللّسان أثناء النّطق بالحرف نازلاً نحو الأسفل.

7- الاستعلاء:

أ.لغة: عَلَوَ: أعلى الله تعالىكعبه. وهو يعلو كذا ويعتليه ويستعليه إذا أطاقه وغلبه.[...]علا في الجبل: صَعِدَ وعلا في الأرض: تكبّر[...] وعَلِيَ في المكارم يعلى عَلاءً: ومنه يعلى في الأعلام. فالاستعلاء إذا هو الارتفاع والتّرفّع[3].

ب.اصطلاحاً: الاستعلاء ارتفاع أقصى اللّسان إلى الحنك الأعلى، عند النّطق بالحرف وسمّيت مستعلية: لأنّ أقصى اللّسان يعلو عند النّطق بها إلى الحنك الأعلى، أو لخروج صوتها من جهة العلو[4].

ويعرّفه صبحي الصّالح بقوله: هو خروج صوت الحرف من أعلى الفم، وذلك لعلوّ اللّسان عند النّطق بالحرف إلى الحنك الأعلى[5]،وعليه فالاستعلاء هو العلوّ والارتفاع؛ أي اللّسان يرتفع تجاه الحنك الأعلى.

---

[1]- فهد خليل زايد، أساسيات اللّغة العربية ومهارات الاتصال الصّوت- الصّرف- النّحو- الدّلالة والمعاجم- البلاغة- الكتابة، دار يافا العلمية للنّشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2013، ص22.

[2]- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللّغوية، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، عمّان، ط1، 2010، ص273.

[3]- الزّمخشري، أساس البلاغة، باب العين، مادّة عَلَوَ، ص676.

[4]- سعاد عبد الحميد، تيسير الرّحمان في تجويد القرآن، دار التّقوى للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط4، 2004، ص83.

[5]- صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، ص282.

8- الاستفال(الانخفاض):

أ. لغة: السّفل والسّفول والسّفالة، بضمّهنّ والسِّفل والسِّفلة بكسرهما والسَّفال، بالفتح نقيض العلوّ والعلو والعلاوة والعلو والعلوّة والعلاء[1]، وعليه فالاستفال نقيض العلوّ وهو الانخفاض والانحطاط.

ب.اصطلاحاً: الاستفال هو انحطاط أقصى اللّسان عند خروج الحرف- لا بمعنى انخفاضه عن مستواه، بل بمعنى عدم ارتفاعه نحو الحنك-...والحروف المستفلة خفيفة بالنّسبة للمستعيلة[2].

وعليه فالاستفال أو الانخفاض يقابل مصطلح الاستعلاء، وهو عدم ارتفاع اللّسان تجاه الحنك، وإنّما هو انحطاط أقصى اللّسان لأنّ اللّسان ينزل إلى قاع الفم.

9- التفخيم:

أ. لغة: فخم، ككرم: ضخم، والفخم: العظيم القدر، و[...]، والتفخيم: التعظيم.[3]

ب.اصطلاحاً: يعرّفه أحمد مختار عمر بقوله:" التّفخيم معناه ارتفاع مؤخّر اللّسان إلى أعلى قليلاً في اتّجاه الطّبق اللّين وتحرّكه إلى الحلق قليلاً في اتّجاه الحائط الخلفي للحلق، ولذلك يسمّيه بعضهم (الإطْباق) بالنّظر إلى الحركة العليا للّسان، ويسمّيه بعضهم (التّحليق) بالنّظر إلى الحركة الخلفيّة للّسان"[4].

---

[1]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط8، مادّة (س.ف.ل)، ص1015.

[2]- محمّد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللّغة العربية، دراسة نظريّة وتطبيقيّة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط5، 2008، ص63.

[3]- المرجع السّابق، مادّة(ف.خ.م)، ص1144.

[4]- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص326.

وهذه الصّفة تختص بها بعض الأصوات العربيّة...وهي: ق، ظ، ض، ص، خ، غ، وقد تسمّى هذه الأصوات أيضاً المستعليّة...؛ لأنّ اللّسان يستعلي فيها يكاد ينطبق على الحنك الأعلى.[1]

10- التّرقيق:

أ. لغة: الرّقيق نقيض الغليظ والثّخين، وقد رقَّ الشّيء يرقّ رقّة وأرقّه، ورقّقه وترقيق الكلام تحسينه[2].

ب. اصطلاحاً: هي الصّوائت الّتي يرتفع فيها مقدّم اللّسان في اتّجاه الغار...، والأصوات المرقّقة هي الأصوات غير المفخّمة والتّفخيم ضدّ التّرقيق ويضمّ باقي الأصوات عذا المفخّمة كليّاً والمفخّمة جزئياًّ[3].

سابعًا/ العناصر الصّوتيّة الرّئيسة في اللّغة العربيّة:

يمكن تصنيف هذه العناصر إلى نوعين:

1. الصّوامت: هي الأصوات الّتي تتعلّق بمخرج معيّن يعترض الهواء الصّادر من الحنجرة حين أداء الصّوت المراد اختياره، ويشكّل هذا النّوع معظم أصوات العربيّة، عدا الحركات القصيرة (الفتحة، الضمّة، الكسرة)، والحركات الطّويلة (أصوات المدّ السّاكنة: الألف، الواو والياء)[4].

---

[1]- خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دط، 2000، ص59.

[2]- الجوهري، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، مج1، مادّة(ر.ق.ق)، ص460.

[3]- أروى خالد مصطفى عجّولي، النّظام الصّوتي ودلالته في سيفيات المتنبّي وكافورياته، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة النّجاح، نابلس، 2014، ص32.

[4]- محمود عكّاشة، التّحليل اللّغوي في ضوء علم الدّلالة، ص17.

وأطلق عليها العرب مصطلح<<الحروف الأصول>>، ومنها يتكوّن جذر الكلمة، وعددها في العربية ثمانية وعشرون صوتاً[1].

وذكر سيبويه أنّ الأصوات الصّامتة تسعة وعشرون حرفاً، وصار ما ذكره أساساً استند عليه معظم علماء العربيّة[2].

وفي تعريف آخر للصوامت: (هي الأصوات السّاكنة أو الحبيسة)، وهي الّتي يحدث عند النّطق بها انسداد جزئي أو كلّي في موضع من جهاز النّطق[3]، وعليه فالأصوات الصامتة يتلخّص إحداثها بأنّه عند النّطق بها يندفع هواء الزّفير من الرّئتين محاولاً الخروج ويعوقه عائق عند اندفاع الهواء في مجراه، كما يوجد اختلاف في عددها.

وتتميز هذه الأصوات بطريقة إنتاجها، فالصّوت ينتج أساساً من اندفاع هواء الرّئتين بضغط الحجاب الحاجز، فيمرّ في طريقه بالحنجرة والفم إلى الخارج، وهو ما يسمّى بعمليّة الزّفير[4].

وتتميّز كذلك بأنّ المجرى معها إمّا أن يغلق تماماً، أو يضيق إلى الدّرجة الّتي يسمع له فيها نوع من الحفيف، كذلك الّذي نسمعه أثناء نطق الحاء أو السّين مثلاً[5]، وبالتّالي فالأصوات الصّامتة تشمل معظم أصوات اللّغة العربية، وهذا يعني أنّها تحتوي الأصوات المجهورة والمهموسة.

---

[1]– محمّد محمّد داود، الصوائت والمعنى في العربية دراسة دلالية ومعجم، دار غريب، القاهرة، دط، 2001، ص15.

[2]– ينظر: غانم قدّوري الحمد، الدّراسات الصّوتية عند علماء التّجويد، ص147.

[3]–صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدّلالة الصّوتيّة في اللّغة العربيّة، ص142.

[4]– عبد الصّبور شاهين، المنهج الصّوتي للبنية العربيّة رؤية جديدة في الصّرف العربي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، دط، 1980، ص27.

[5]– عبد الفتّاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في أصوات اللّغة العربية وفن الأداء القرآني، القاهرة، ط2، 2002، ص65.

2. الصّوائت: والصّوائت لها عدّة مسمّيات: فقد تسمّى بالأصوات اللّينة، أو الطّليقة، أو أصوات المدّ، أو المصوّتات، أو أصوات العلّة، أو الحركات، أو الأصوات المتحرّكة[1]، وهي أصوات مجهورة تخرج من دون أن يعترضها حاجز يسدّ مجرى النّطق أو يضيقه، لذلك اعتمد نطقها على اهتزاز الوترين الصّوتيين الّذي يولّد الجهر[2].

ويعرّف دانيال جونز الصّوائت أو الحركات قائلاً: (أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النّطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم دون أن يتعرّض لتدخل الأعضاء الصّوتية تدخّلا يمنع خروجه أو يسبّب فيه احتكاكا مسموعاً)[3].

وعليه فالأصوات الصّائتة هي أصوات مجهورة وليست مهموسة، ويجري معها الهواء حرّاً طليقاً لا يعترض طريقه شيء ولا يعيقه عائق حتّى يخرج من الفم، وفي ضوء علم اللّغة الحديث حدث اتّساع لمصطلح الحركات في العربية، وأصبحت الحركات في العربيّة تصنّف من حيث النّوع إلى ثلاثة أنواع هي: الفتحة، الكسرة، والضمّة، وتصنّف من حيث الكميّة أو الزّمن المستغرق لنطقها إلى ستة أنواع هي:الفتحة القصيرة في مقابل الفتحة الطّويلة والكسرة القصيرة في مقابل الكسرة الطّويلة والضمّة القصيرة في مقابل الضمّة الطّويلة.[4]

وعليه نصل إلى أنّ الفرق بين الصّوامت والصّوائت يتمثل فيما يلي:

- الأصوات الصّامتة منها ما هو مجهور، ومنها ما هو مهموس، أمّا الصوائت فهي أصوات مجهورة.
- الصّوائت لا يعترضها أي عارض أثناء الخروج، بينما الصّوامت فالعكس.
- الصّوائت تتّسم بصفة الوضوح السّمعي، والصّوامت على العموم أقل وضوحاً منها.

---

[1]– رمضان عبد الله، أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات، ص54.

[2]– علي حسن مزيان، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، دار شموع الثّقافة، ط1، 2003، ص72.

[3]–المرجع السّابق ، ص54.

[4]– محمّد محمّد داود، الصّوائت والمعنى في العربيّة، ص15، 16.

الفصل التّطبيقي: الصّوامت والصّوائت في خطاب

محمّد البشير الإبراهيمي

أوّلا: دلالة الصّوامت

ثانيا: دلالة الصّوائت

وبعد دراستنا للجانب النّظري كان لا بدّ لنا من تعزيزه بالجانب التّطبيقي؛ الّذي كشف عن الدّور الّذي تؤدّيه الأصوات في صنع النّص والعلاقة بينهما وبين ألفاظها، وقد حاولنا إسقاط المفاهيم النّظريّة من خلال البحث لها عن وصف تطبيقي متّخذين من خطاب البشير الإبراهيمي أمام الوفود العربيّة والإسلاميّة في هيأة الأمم المتّحدة في فرعها بباريس مثالاً لذلك؛ حيث نستشفّ من خلال هذا المقال ذاتية الإبراهيمي وقوّة شخصيته وهي تهيمن على الفكرة المطروحة، وصبغت الموضوع بالمستوى الأدبي الرّفيع الّذي ارتقى أسلوبه، ويبدو أنّ هذا الخطاب ينمّ عن قدرة الإمام العالية على الإقناع وتبليغ مقاصده، والتّأثير في المتلقّي بجعله ينفعل ويسلّم بفكرته، وذلك من خلال الاستخدام الأمثل لأساليب اللّغة، ووضع الألفاظ الوضع الّذي يقتضيه المقام، وكي نتحقّق من مدى تمكّن البشير الإبراهيمي من إنتاج خطاب متكامل صوتيًّا، وجب تحليل هذا النّص صوتيًّا، وذلك بإحصاء جميع أصواته التّركيبيّة، وما تحدثه من أثر من خلال ربطها بدلالتها.

أوّلا/ دلالة الصّوامت:

تجلّت لنا من خلال هذا الخطاب شخصيّة الخطيب وصورته كاملة الوضوح بنزعتها ومواقفها، وتحرّكاتها، وسكناتها الّتي تبعث ثقة المتلقّي، ويبدو أنّ الإمام الإبراهيمي من خلال أعماله وآثاره، ومن خلال مواقفه في حياته، وسعة علمه، وتعدّد اهتماماته، وطول جهاده جعلت منه محلّ هذه الثّقة، وأوّل ما نتلقّاه في هذا الخطاب الماثل أمامنا جملة من الصّفات والقيم ذات البعد الأخلاقي المحض الّتي نادى بها شيخنا.

فقد استهلّ الخطيب خطابه بعبارات التّحيّة والتّقدير، ثمّ التّمهيد للحديث عن الأخوّة وصفاتها المستمدّة من تعاليم الإسلام إذ يقول:**حضرات أصحاب المعالي الوزراء...وخاطبتهم بيّاأيّها**

الإخوان"[1]، كما نلتمس بعض المصطلحات والكلمات الّتي توحي بالصّلة القويّة بينه وبين المتلقّي، فنجده يكرّر بعض الأصوات والألفاظ للتّأثير في المُخاطب ولفت انتباهه وورد تباين في هذه الأصوات، وقد أدّى هذا التّنوّع بين الجهر والهمس دورًا كبيرًا في ذلك التّباين الصّوتي، ومن هذه الأصوات الّتي برع الخطيب في تلوين نصّه بها حرف الحاء الّذي ورد بتكرار مئتان وواحد وعشرون (**221 مرّة**)، هذا الصّوت وُصِف بأنّه مهموس وحلقي، انتشر في الخطاب بأكمله، وربّما ذلك بغرض تعزيز حضور الأصوات المهموسة من جهة والحلقيّة من جهة أخرى، افتتح به الخطيب خطابه للدّلالة على ليونته في الإلقاء وطريقة التّعامل وذلك بغرض استمالة قلوب المتلقّين وكسب عواطفهم، ولا يوجد أهدى من رفع شعار الأخوّة **[أيّها الإخوان]** الّذي يجمع كلمة الجميع ويوحّد هدفهم في الحريّة والكرامة، ونلتمس حرف الحاء في المفردات التّالية: **(حضرات، أصحاب، الرّوحيّة، السّماحة، يحلو، الاتّحاد أحيّيكم...إلخ)**.

كما نجده جهّر بمجموعة من الصّفات- الوحدة، التّآخي، الثّبات، الشّمول، ونبذ الفرقة- الّتي لها وزن وقيمة تأثيريّة كبيرة، وينبغي أن تتوفّر في شخصية الانسان وأخيه المسلم؛ والّتي أوصى بها الإسلام وحثّ عليها، وهذا الجهر دفعه إلى اختيار أصوات قويّة مناسبة لذلك، ومن هذه الأصوات المجهورة الّتي أكثر منها الإمام في خطابه، نجد حرف الزّاي، الرّاء، الباء، هذا الصّوت الجهوري الاحتكاكي والشّديد، كما يوصف بأنّه من الحروف الشّفويّة وهو (صوت يتمّ نطقه بضمّ الشّفتين وإقفال ما بين الحلق والتّجويف الأنفي برفع الطّبق على حين توجد ذبذبة في الأوتار الصّوتيّة، حيث يمرّ الهواء أوّلاً بالحنجرة فيتحرّك الوتران الصّوتيّان، ثمّ يتّخذ الهواء مجراه بالحلق والفم حتّى ينحبس عند الشّفتين المنطبقتين انطباقًا تامًّا، فإذا انفجرت الشّفتان فجأة نسمع ذلك الصّوت الانفجاري المجهور المسمّى

[1]- محمّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي- عيون البصائر- دار الغرب الإسلامي دط، بيروت، 1952، ج2، ص464، 465.

بصوت الباء)[1]، وتكرّر هذا الحرف أربع مئة وستة (**406 مرّة**)؛ لأنّه تلاءم والحالة النّفسيّة للخطيب؛الّذي صرخ من أعماقه وأمل في تغيير الواقع، بالتّذكير بالآداب الرّاقية والمثل العليا الّتيحملها الإسلام في طيّاته، فعبّر هذا الحرف عن الاتّساع والضّخامة بما يحاكي واقع انفتاح الفم على مداه عند خروج صوته من بين الشّفتين، ومن أمثلته: (**اعتباراته، آدابه النّبوّة، العبوديّة، أخاطبهم، العروبة...إلخ**)، إلى جانب استخدامه لحرف الرّاء بترديد ثلاث مئة واثنان وستّون (**362 مرّة**)، وهو صوت جهوري مكرّر، (هذا التّكرار ولّد إيقاعًا تردّد بين درجتين الانخفاض والارتفاع، وجعل الصّوت يصدر بتكرار ضربات اللّسان على مؤخّر اللّثّة تكرارًا سريعًا)[2]، ومن صفاته أنّه صوت متوسّط بين الشدّة والرّخاوة، ومن شأن هذا الملمح التّمييزي الّذي تتمتّع به الرّاء أن يحمل دلالة الاستمرار والتّتابع، ووظّفه الخطيب لأنّه يتوافق مع الهدف الّذي توخّاه من وراء إلقائه هذا الخطاب، فهو حاول أن يبثّ روحًا جديدة في نفوس أبناء أمّته، ويوقظها من غفلتها وسباتها، ويثير فيها مشاعر النّخوة والإباء فتناسب بذلك هذا الاستمرار في الدّعوة مع تكرار حرف الرّاء التّرديديّة، إلى جانب حرف الزّاي الّذي تواتر اثنان وخمسون (**52 مرّة**)، وهو صوت مجهور صفيري مرقّق، رخو أسناني، لثوي عند النّطق به"يقترب رأس اللّسان من منطقة اللّثّة العليا ويلامسها، بحيث يترك منفذًا ضيّقًا للهواء، ويكون مجوّفًا في وسطه طولا وعلى الأخصّ في موضع النّطق حيث يكون المنفذ صغيرًا ومدوّرًا"[3]، فكأنّ في حرف الزّاي من سمات تتقاطع مع حالة الإنسان القلق الخائف المفزوع، كما أنّ الصّوت الصّادر عن نطق حرف الزّاي وتكراره هو تعبير عن البعد النّفسي

[1]– رمضان عبد الله، أصوات اللغة العربيّة بين الفصحى واللّهجات، ص126.

[2]– كمال بشر، علم الأصوات، ص345.

[3]– بسّام بركة، علم الأصوات العام: أصوات اللّغة العربيّة، مركز الإنماء القومي، لبنان، دط، دتص123.

للخطيب، وعَرَفَه الفينيقيون ونطقوه: (زين) للدّلالة على الجمال[1] مصداقًا لقوله تعالى﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...**﴾ **الكهف/ الآية 46**، ردّده الإبراهيمي ليصف به جمال الجزائر، فأبدع في وصفها بخياله اللّامع الّذي يخرج الأفكار مهما كانت عميقة- في روعة من الرّونق والجمال- وممّا يدعّم حضور هذين الصّوتين في الخطاب قوله: **(حضرات ارتفعت، اعتبارات، الزّهرة، العزّة، مازالت...إلخ)**.

كما حرص الخطيب على صورة الإنسان الأخ المتواضع، وجسّد هذه الصّورة في كلام عن الأخوّة قمّة في الأداء والبلاغة، وعمق في التّأثير، فأطال فيه النّظر برؤيته حتّى أصبح موضوع الأخوّة، وكأنّه محور خطابه، وفي هذا المقام يقول: " **فأنا حين أخاطب إخواني الكرام الّذين أتاح لي الحظّ...بيّا أيّها الإخوان**"[2]، وأكّد الإبراهيمي على صفة الأخوّة وشبّه حال العرب المتفرّقين بحال العقد الّذي تناثرت حبّاته في كلّ اتّجاه؛ حيث لا تظهر قيمة ذلك العقد إلاّ في تناسقه وانسجامه، وهكذا هو حال العرب فلن يكون لهم أيّ تأثير إلاّ بالوحدة ولمّ الشّمل، واستثني من ذلك الّذين اعتزّ بأخوّتهم، وفي هذا الصّدد يقول: " **وصف الأخوّة الّذي منذ فقدناه لم نجد أنفسنا...أعتزّ بأخوّتهم**"[3]، واختار حرف التّاء وكرّره خمس مئة وأربعة وثلاثون **(534 مرّة)** ليعبّر به عن هذه التّفرقة، وهو صوت يجهد النّفس كونه انفجاري نضطرّ معه لإخراج الهواء وكأنّه محبوسًا<<وهو يدلّ على الاضطراب في الطّبيعة>>[4]، كما نصّ على ذلك الشّيخ العلايلي، هذا الاضطراب الّذي يحمله، حرف التّاء يدلّ على ما يعانيه الخطيب من إرهاق ومشقّة على أوضاع أمّته، ومن شأن هذا الحرف أن يشعر كلّما أجهد النّفس عند النّطق به بشدّة الضّيق للخطيب، واستخدمه ليضفي شيئًا من وضوح المعنى، ومن الأمثلة الّتي نعزّز بها حضور هذا الصّوت: **(حبّات، انتثرت، أصبحت أتاح، أخوّتهم، خاطبتهم...إلخ)**، ونجده كذلك كرّر حرف السّين بتواتر مئتين وثمانية وستّون

---

[1]- مزوز دليلة، سيميائية الحرف العربي قراءة في الشّكل والدّلالة، قسم الأدب العربي، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، دت، ص273.

[2]- محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص465.

[3]- المصدر نفسه، ص ن.

[4]- عبد الله العلايلي، مقدّمة لدرس لغة العرب، المطبعة العصريّة، القاهرة، دط، دت، ص210.

(268 مرّة) هذا الصّوت الرّخو، المهموس، المرقّق الأسناني، اللّثوي الّذي يمتاز بصفيرٍ عالٍ يوحي بنفس قلقلة تأمل في تغيير الواقع، وتنادي بالإصلاح، وانسجم هذا مع رؤية الخطيب، كما صوّر لنا تصويرًا حسيًّا صفات الجزائر محدثًا نوعًا من الارتخاء صوتيًّا ودلاليًّا، وهذه بعض الألفاظ الّتي تضمّنت هذا الصّوت: **(المسلمة، متمسّكة، أنفسنا، رسوم سماؤه، الشّمس...إلخ)**، إلى جانب حرف الصّاد الّتي بلغ عدد تكرارها اثنان وتسعون **(92 مرّة)** وهي حرف مهموس، مفخم أسناني، لثوي (وهي تضخم شعورك بملمحها التّمييزي؛الّذي يمكن أن تنسب إليه، إيحاء بالمبالغة في إيقاع الحدث، أو في الوصف، ألا وهو التّفخيم)[1] ويوصف هذا الحرف بخاصيّة الصّلابة وتدل على ذلك الكلمات الّتي ارتبطت بها الصّاد: **(أصحاب، وصف، أصبحت، الصّفوة، صدفة، صلة، المنصف، تصفيق...إلخ)**.

فهذه الأصوات خلّفت لنا نوعًا من الانسجام الصّوتي، كما أضفت على المعاني جرسًا موسيقيًّا موحيًّا ومؤثّرًا، وواصل الخطيب حديثه عن الأخوّة مركّزًا على هذه الصّفة في كلّ مرّة مع اقترانها بأداة النّداء؛الّذي غرضه لفت انتباه المتلقّي، ومن ذلك قوله: **(أيّها الإخوان)** فبدأ بهذا الانفجار الحنجري الثّقيل المعروف بالهمزة؛الّذي ينتج (بانغلاق الوتران الصّوتيان بصورة محكمة، ثمّ ينفتحان بصورة خاطفة فيكون هذا الانفجار، وهو انفجار لا يترتّب عليه أيّ تذبذب في الأوتار الصّوتيّة، ومن ثمّ كانت الهمزة صوتًا مهموسًا انفجاريًّا)[2]، فهذا الصّامت بانفجاره القوي وخروجه من أوّل المخارج الصّوتيّة، يهيّئ الجهاز النّطقي للقراءة والذّهن للتّفكير، كما يهيّئ السّامع من خلال وضوحه السّمعي العالي لسماع ما سيقول واستعمله للدّلالة على عظم ما بعد هذا الصّوت من أمر، لابدّ من التّنبّه إليه، ألا وهو قضيّة التّوحيد؛ أي الوطن الواحد والعقيدة الواحدة الّتي تجمعهم، بمعنى أنّ الّذي يجمع الأرواح ويؤلّفها، ويصل بين نكرات القلوب فيعرّفها هو الدّين، لذلك ينصحهم ألاّ يلتمسوا الوحدة في

[1]– مهدي عناد أحمد قبها، التّحليل الصّوتي للنّص (بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجًا)، رسالة ماجستير في اللّغة العربيّة، جامعة النّجاح الوطنيّة، كليّة الدّراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2011 ص95.

[2]– ينظر: عبد الصّبور شاهين، المنهج الصّوتي للبنية العربيّة، ص28.

الآفاق الضّيّقة، ولكن يلتمسوها في العقيدة، ويلتمسوها في الوطن الواحد وبذلك يجدوا الأفق أوسع، وعليه فاختياره لهذا الصّوت (الهمزة) لم يأت هكذا اعتباطًا بل يقصد التّأثير، وجعل المتلقّين يستأنسون لكلامه، ويرتاحون لأفكاره، وحتمًا سيكون لها تأثيرًا بليغًا في سلوكهم ومن الألفاظ الّتي تضمّنت هذا الصّوت:(**أخاطب، أحيّيكم، أقول، أبناءنا، أنفسنا، أصبحت أحقٌ أخاه...إلخ**).

كما ورد تكرار حرف الهاء أربع مئة وتسعة وخمسون (**459 مرّة**) في الخطاب وهو صوت رخو، مهموس حلقي، لا يحتاج إلى جهد عضلي، وعند النّطق به يصل المزمار منبسطًا دون أن يتحرّك الوتران الصّوتيان، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعًا من الحفيف يسمع في أقصى الحلق، والهاء تدلّ على الاهتزاز والاضطراب، كما يوحي تكرارها بشيء من الضّيق والتّعب؛ ذلك لأنّ الإمام الإبراهيمي ابن أمّته ومجتمعه حاول الدّفاع عن قضايا هذه الأمّة الجزائريّة، وإصلاح أوضاعها محاولاً إيقاظ الضّمائر النّائمة، وإعادة الأمل إلى النّفوس الضّالة والخاضعة، ورأى بأنّ الإسلام أمانة في أعناق علمائه وهم مسؤولون عنها ويمكننا التّمثيل لهذا الصّوت بالكلمات الآتية: (**أخاطبهم، أخوّتهم، شيعتها، المجاهدة يبهج...إلخ**)، وما نلاحظه أنّ ورود هذه الحروف لم يكن شكليًّا، أو عن غير قصد، بل تكرارها جعل الدّقة الشّعوريّة للخطيب تصل إلى أعلى مستوياتها، ثمّ حيّاهم باسم جمعيّته الّتيتشرّف برئاستها وباسم شعبتها المركزية بباريس الّتي هيّأت لهذا اللّقاء الحميم ظروف انعقاده، وفي هذا المقام يقول:" أحيّيكم باسم جمعيّة العلماء المسلمين...وأنّكم الصّفوة المختارة من بناته)[1]، لينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الجزائر المجاهدة الصّابرة، وعن صلتها بالشّرق العربي؛ لأنّها جزءٌ لا يتجزّأ منه، فتفنّن في وصف هذه العلاقة بفكره العميق

[1]– محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص465.

وبأسلوب يأسر القلوب ويستولي على النّفوس إذ يقول:" **وأحيّيكم باسم الجزائر العربيّة المسلمة...إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها**"[1].

واعتزّ الخطيب بالانتماء القومي للجزائر وصلتها بالمشرق، كما اعتزّ باللّغة العربيّة الّتي رسّخها الإسلام على أيدي الفاتحين من أمثال عقبة بن نافع، ورأى الإبراهيمي أنّ قدوم قبيلة بني هلال إلى هذه البلاد كما رأى بعض المؤرّخين المجحفين إغارة على الأوطان وتخريبًا للعمران، وهذا بخلاف ما رأى المؤرّخون المنصفون على أنّها تعريبًا للّسان وتنويرًا للأذهان، وفي هذا السّياق يقول:"**ومازالت قائمة على غرس عقبة...من بقاياه ما تسمعون**"[2]، واستعمل بعض الحروف للتّعبير عن ذلك، ومن بين هذه الحروف حرفي الميم والنّون، ويعدّان من بين الحروف الأكثر سهولة وسلاسة في النّطق، فهذا الوضوح وهذه السّلاسة تحقّق لفتًا للانتباه لكونهما عنصرين رئيسيين من عناصر الموسيقى اللّغويّة الجذّابة فالخطيب استخدم في خطابه هذا النّوع من الصّوامت (الميم) الّتي تجمع بين الشدّة والرّخاوة وذلك لوضوحها في السّمع، أو لأغراض إيحائيّة تخدم المعنى ومثال حرف الميم ما ورد في الكلمات التّالية: **(جمعيّة، العلماء، المسلمين، المركزيّة، المجاهدة، المختارة، متمسّكة المنصف، أمامكم...إلخ)**، وتكرّر هذا الصّوت سبع مئة واثني عشر**(712 مرّة)** وهو صوت شفوي، أنفي، مجهور، تلحق به صفة الغنّة، وتكرار هذا الحرف يعدّ تكرارًا حرًّا غير منتظم ارتبط شيوعه بالحالة النّفسيّة للخطيب؛ حيث أثار ذات المتلقّي للتّفاعل مع هذه الحالة الّتي تنفعل في نفسه، <<وهذا الصّوت يوحي بذات الأحاسيس اللّمسيّة الّتي تعانيها الشّفتان لدى

[1]– محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص465.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

انطباقها على بعضها بعضًا من اللّيونة والمرونة والتّماسك مع شيء من الحرارة>>[1]، هذه الحرارة تعبّر عن تمسّكه وتعلّقه الشّديد بالعقيدة والعروبة والوطن والدّفاع عنها، لتصل إلى الشّفتين ليعبّر صوت الميم عن كل الانفعالات الكامنة في نفس الخطيب أبلغ تعبير يمكن أن يقال، ويتميّز عن بقيّة الأصوات اللّغويّة بأنّه صوت مائع، ومستفل ومنفتح، كما كان لصوت النّون حضورًا كثيفاً في الخطاب بلغ سبع مئة وأربعة وسبعون **(774 مرّة)** وهو من الأصوات المجهورة الّتي تكرّرت بكثرة ومن نماذجه:(**أنجبت، أنّكم نباته، بناته، نخلة ،أنواره متينة، ناطقة، إنارة، البيان...إلخ)**، وهذا الحرف كما هو معلوم صوت لثوي، أنفي، متوسّط بين الشدّة والرّخاوة مجهور، مرقّق، من حروف الغنّة، كذلك، ثمّ إنّ اجتماع الوفود العربيّة والإسلاميّة بهدف مناقشة قضايا أوطانهم، يعدّ حدثًا هامًّا، نال إعجاب الخطيب وجعله يحسّ بالدّهشة متسائلاً:" **أيّها الإخوان...أيّها الزّملاء حملة الأقلام!أحقيقة ما ترى عيناي أم خيال؟... الطّيب والجمال**"[2]، ثمّ واصل إمامنا حديثه عن باريس– هذه العاصمة الفرنسيّة– الّتي عدّها رمز الاغتصاب والاضطهاد، والاستبداد فانتقدها مصرّحًا بما خلّفته من دمار وخراب أصاب الأمّة العربيّة الإسلاميّة، معلنًا أنّه لا يغفر لها مادامت تتمادى في إراقة الدّماء وامتهان الكرامة الانسانية فيقول:" **أحقّ أنّ باريس وهي منبع شقائنا...وتمحو لها بهذه الحسنة جميع السيّئات**"[3]، وقد اختار الخطيب حرف اللّام وردّده ست مئة وثلاثة وخمسون **(653 مرّة)**؛ لأنّه يتناسب وموقفه، هذا الصّوت الصّامت والمجهور، الجانبي اللّثوي، المتوسّط، بين الشدّة والرّخاوة، يتميّز بالوضوح السّمعي والقوّة ويوحي بالثّبات، وظّفه الخطيب في خطابه بهذا الحضور القويّ، ليعبّر به عن صورة الثّبات والصّمود الّتي ميّزت فكره وخطابه طيلة حياته المهنيّة الإصلاحيّة والجهاديّة ضدّ كلّ ما له صلة بهذا الاستعمار

[1]– حسن عبّاس، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، منشورات اتّحاد الكتّاب، دط، دمشق، 1998 ص72.

[2]– محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص466.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

وهو من علامات التّعريف، إضافة إلى كونه منحرفًا؛ لأنّ اللّسان ينحرف عند النّطق به وهذا يتطابق تمامًا مع انحراف الاستعمار الغاشم عن كلّ ما ينادي به شيخنا، وتبرز قيمة هذا الصّوت في قوله: **(تنزل، لحظة، تغلق، الظّلم، المعتقلات، سيجليها، الأفلاذ الاستعلاء...إلخ)**، ولم يكن الإمام الإبراهيمي عندما توجّه إلى باريس للقاء وفود الدّول العربيّة والإسلاميّة ليطلب منها عرض القضيّة الجزائريّة على الأمم المتّحدة مؤمنًا أنّ هذه المنظّمة لن تعيد إلى الجزائر حقّها ولن تنصفها من ظالمها لذلك نعتها بالعجز والقصور فما هذه المنظّمة في رأيه السّديد وفكره الرّشيد إلاّ منظمّة "**سمّيت بغير اسمها وحليت بغير صفتها، وما هي إلاّ مجمع يقود أقوياؤه ضعفاءه، ويسوق أغنياؤه فقراءه... وتباع فيه الذّمم والهمم والأمم بيع البضائع في السّوق السّوداء**"[1]، وإنّما كان يريد أن يسمع الجميع– أشقّاء وأعداء– ما كان يراه قريبًا ويراه الآخرون بعيدًا أو مستحيلاً، وهو أنّ هناك"**شبابًا سينطق يوم يسكتون، وسيتكلّم بما يخرس الاستعمار ويسوءه، وإنّ بعد اللّسان لخطيبًا صامتًا هو السّنان...إلى حين**"[2].

وأحالنا كلامه عن هيئة الأمم المتّحدة إلى الثّبات في العقيدة، ويدلّ كذلك على صدق النيّة والإخلاص في العمل دون شكّ، وجعل منه موضع ثقة، كما جعل من الصّفات والمكارم الّتي عدّها بمثابة الفرائض الدّينيّة؛الّتي لا يمكن للمسلم التّخلّي عنها دليلاً على عظمته دون منازع، ثمّ إنّ قوّته الفكريّة يمكن أن تمنح للأمّة وعيًا جديًّا يدعو إلى المحافظة على كيانها، وشخصيتها الّتي تجاهلها الاستعمار، وعمد إلى محاربتها، وعليه نجد مواقف إمامنا وحالته النّفسيّة متباينة بين الثّبات والعظمة أو القوّة والجهاد، ممّا استلزم تكرار أصوات بعينها لتؤدّي وظائف دلاليّة تُسهم في بناء الدّلالة، والغاية الّتي تكمن وراء ذلك هي التّنويع في أساليب التّعبير، والتّعدّد في الدّلالات، وفاءً بحاجة المعنى حسب السّياق؛ لذلك كانت

[1]– محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص466.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

الأصوات المهموسة (الفاء، القاف، الكاف) الّتي وظّفها الخطيب ملائمة لهذه الحالة والمعنى الّذي يريد إيصاله، ومن سياقات توظيف حرف الفاء في الخطاب الكلمات الآتية:**(فرّقت تختلف، تغفر، أفلاذ، يدافعون، السّيف...إلخ)**، والفاء صوت رخو، احتكاكي، مهموس يضيق في مجرى الهواء الخارج من الرّئتين في موضع من المواضع في جهاز النّطق، وعند خروجه يحدث احتكاكًا مسموعًا، وكرّرها مئتان وواحد وأربعون **(241 مرّة)** ليحمل دلالة القوّة، والعظمة الّتي تمتّع بها إمامنا، كما نجد كذلك الصّوتين الكاف والقاف اللّذين يدعّمان بهمسهما إيحاء الفاء، ويوحيان بانفجارهما الشّديد، وورد تكرار القاف مئتان وسبعة وستون **(267 مرّة)** وهي الصّوت الوحيد الّذي يخرج من موضع اللّهاة، والقاف حرف شديد، لهوي مستعل، يعدّه القدماء حرفًا مجهورًا[1]، ويعدّه المحدثون صوتًا انفجاريًّا مهموسًا يتمّ نطقه<<برفع أقصى اللّسان حتّى يلتقي بأدنى الحلق واللّهاة مع عدم السّماح للهواء بالمرور من الأنف، وبعد ضغط الهواء مدّة من الزّمن يطلق سراح مجرى الهواء بأن ينخفض أقصى اللّسان فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتًا انفجاريًّا ولا يتذبذب الوتران الصّوتيان عند النّطق به>>[2].

ونظرًا لما يملكه هذا الحرف من صفات القوّة وعمق المخرج أتى به الخطيب في مثل كلمات: **(الشّرق، أقوياؤه، عقدوه، التّقوى...إلخ)** ليتناسب مع المعنى الّذي يحمل دلالة القوّة والشدّة والإجبار بعيدًا عن اللّين واللّطف، أمّا الكاف فتَواتَرت مئة وثلاثة وخمسون **(153 مرّة)** وهي صوت مهموس، مرقّق، طبقي، تنتج عن انحباس النّفس لحظة النّطق به ثمّ اندفاعه دفعة واحدة، فلا شكّ أنّها تلائم حالة المكبوت المقهور؛ الّذي ينفجر فجأة

[1]– مصطفى حركات، الصّوتيّات والفونولوجيا، ص121.

[2]– كمال بشر، علم اللّغة العام– الأصوات العربيّة– مكتبة الشّباب، القاهرة، دط، دت، ص109.

كالبركان فتحمل بذلك دلالة القوّة، وهذه بعض الألفاظ الّتي تضمّنت هذا الصّوت:**(يسكتون سيتكلّم، أولئك، مكانها، كيده، الشّكوى، الأفكار...إلخ)**.

أمّا فيما يخصّ الأصوات المهموسة الأخرى فهناك تنوّع في استعمالها من حيث التّكرار، حيث نجد الثّاء بتكرار ثمان وثلاثون **(38مرّة)** وهي صامت مهموس، مرقّق أسناني، من الحروف اللّثويّة،<<تحدُث بأن يوضع طرف اللّسان بين أطراف الثّنايا، بحيث يكون هناك منفذ ضيّق للهواء، ويكون معظم جسم اللّسان مستويًا، يرفع الحنك اللّين، فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف، ولا يتذبذب الوتران الصّوتيّان>>[1].

ومن الأمثلة الّتي نعزّز بها حضور هذه الأصوات في الخطاب قوله: **(الأثر تماثيلهم، الثّقافات، المتأثّرين...إلخ)**، أمّا الطّاء فهو صامت مهموس، أسناني، لثوي انفجاري، مفخّم، تكرّر ست وسبعون **(76مرّة)**، انفرد هذا الصّوت بصفة الإطباق والاستعلاء، وهذه بعض الأمثلة الّتي توضّح حضوره في النّص:**(الطّغاة، الوطنيّة، التّباطؤ المتلاطم...إلخ)**، فالطّاء جاءت مضاعفة في اللّفظة الأولى (الطّغاة)، والتّضعيف هنا زيادة في المبنى والمعنى، وجاء موافقًا لقوّة الطّاء من ناحية جرسها.

ومن الأصوات المهموسة الّتي وظّفها الخطيب كذلك نجد صوتي الخاء والشّين وتردّد هذا الحرف في الخطاب ثمان وتسعون **(98 مرّة)** في الكلمات التّالية **(أشتات، أشكال الشّذى، الشّرق، الشّهادة...إلخ)**، وهذا الصّوت صوت مهموس، مرقّق، غاري، "عند النّطق به يلتقي طرف اللّسان؛ أي مقدّمه بمؤخّر اللّثة ومقدّم الحنك الأعلى، بحيث يكون هناك منفذ ضيّق لمرور الهواء، ولكن هذا المنفذ أوسع من المنفذ الموجود في حال صوت كالسّين مثلاً وفي هذه الحالة يكون كل الجزء الأساسي من جسم اللّسان مرفوعًا نحو الحنك ولا تتذبذب

[1]– محمود السّعران، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النّهضة العربيّة، بيروت، دط، دت، ص183.

الأوتار الصّوتيّة عند النّطق به"[1]، سمّيت بذلك لأنّها تفشّت في مخرجها عند النّطق بها، ويفيد هذا الصّوت معنى الانتشار، وهو بتكراره يكشف لنا عن حالة التّغرّب عن الأوطان؛الّتي يعيشها العرب وتفَرُّقِهم وانتشارهم في كلّ أصقاع الدّنيا لا لغاية إلاّ خدمة لأوطانهم، فيحصر حرف الشّين بجرسه الصّوتي الرّائع، والمميّز ليصوّر لنا ذلك التّفشي وذلك الانتشار، وفي هذا الصّدد يقول:<<**إخوة طوّحت بهم الأقدار، وفرّقت صروف الدّهر في الأقطار حتّى لا يلتقي رائح منهم بمبتكر>>**[2]، وعليه فالإبراهيمي إتّخذ من الصّوت المتكرّر وسيلة لتصوير المعنى وتجسيمه، والإيحاء بما يدلّ عليه، معتمدًا في ذلك على ما تتمتّع به الأصوات من خصائص وصفات في الجرس والنّغم، وهي بهذا الجرس الصّوتي تسهم في إبراز المعنى المراد، وممّا يدعّم حضور الأصوات المهموسة في الخطاب صوت الخاء الّذي يعدّ من الأصوات المستعلية، الرّخوة، المنفتحة، وقد وصفه ابن سينا بقوله:<<وأمّا الخاء فإنّها تحدث من ضغط الهواء إلى الحدّ المشترك بين اللّهاة والحنك ضغطًا قويًّا مع إطلاق يهتزّ فيما بين ذلك رطوبات يعنّف عليها التّحريك إلى قدّام، فكلّما كادت أن تحبس الهواء زوحمت وقسرت إلى خارج في ذلك الموضع بقوّة>>[3]، وقد تردّد هذا الصّوت تسع وثمانين مرّة **(89 مرّة)** في الخطاب وهي نسبة ضئيلة مقارنةً بالأصوات الموسومة بصفات اخرى، ولعلّ صفة الاستعلاء والانفتاح وضغط الهواء القويّ المتسبّب في حدوثها يتواءم مع حالة الاستعلاء والطّغيان الّتي سيطرت على الحضارة الغربيّة فكان أقوياؤها يقود ضعفاءها، وأغنياؤها يسوق فقراؤها، وأضحت سوقًا تشترى فيه الأصوات وتباع فيه الأمم بيع البضائع، وورد هذا الصّوت في هذه الكلمات الآتية: **(خاطبو، الخواطر الخسارة ،تاريخهم...إلخ)**، وعليه فتخيّر الخطيب لهذه الأصوات حقّق نوعًا من الانسجام

---

[1]– كمال بشر، علم الأصوات، ص302.

[2]– محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص466.

[3]– نادر أحمد جرادات، الأصوات اللّغويّة عند ابن سينا: عيوب النّطق وعلاجه، الأكاديميون للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2009، ص106.

الصّوتي والمعنوي، وصوّر للمتلقّي واقع الأمّة العربيّة، وقرّب إليه جملة الانفعالات الّتي رام إثارتها في نفسه، وكأنّه يرى الحدث بأمّ عينه، وهنا تكمن براعة التّصوير.

أمّا بالنّسبة لبقيّة الحروف المجهورة فلها حضور قوي، وساهمت في إضفاء موسيقى مميّز زاد من جماليّة التّشكيل الصّوتي للخطاب، ومن هذه الأصوات: صوتيْ العين والظّاء وتتكرّر هاتين الوحدتين الصّوتيتين بتواتر خمسة عشر **(15 مرّة)** بالنّسبة لهذا الصّوت وثلاث مئة واثنان وثلاثون **(332 مرّة)** بالنّسبة للعين، وخلّف التكرار إيقاعًا واضحًا، فهذا الأخير له جرس بارز ووقع ظاهر في الأذن، وهي من الأصوات الّتي يكاد ينفرد العرب بكثرة استعمالها، والعين صوت مجهور، احتكاكي، حلقي، مرقّق، وهذه الصّفات تؤيّد ما ذهب إليه من امتياز هذا الحرف بصفة البروز والتّألّق، وهوتناسب مع صفة العدل والانصف؛الّذي امتازت به الحضارة الإسلامية، كما أوحي بتألّق إمامنا بفكره؛ لأنّ أفكاره تحيلنا إلى أنّ كلامه هو كلام خبير عالم بما حدث في الماضي، وما يحدث الآن و يستشرق و يتنبّأ بما سيحدث مستقبلاً، ومن الأمثلة الّتي نعزّز بها حضور هذه الأصوات في الخطاب قوله: **(العدل، عهود، أعناقنا، المعابد، عقدوه ...إلخ)**.

أما الظّاء فهو صوت اختصّت به العرب، وهو احتكاكي بين أسناني، مجهور، مفخّم ويحتاج النّطق به إلى جهد عضلي إضافي يقوم على إخراج طرف اللّسان ووضعه بين الأسنان[1]،ولعلّ هذا الجهد العضلي يتقاطع مع دلالة القوّة والشدّة، ونلتمس هذه القوّة في اعتداده القويّ باللّغة العربيّة الّتي رسّخها الإسلام.

أمّا بالنّسبة لبقيّة الحروف المجهورة فلها حضور قوي، وساهمت في إضفاء موسيقى مميّز زاد من جماليّة التّشكيل الصّوتي للخطاب، ومن هذه الأصوات صوت الدّال، والذّال والغين، والدّال صوت انفجاري مجهور مرقّق أسناني لثوي،<<من حروف القلقلة، وسمّيت

[1]– مصطفى حركات، الصّوتيات والفونولوجيا، ص99.

بذلك؛ لأنّ اللّسان يتقلقل بها عند النّطق>>[1]،تواتر مئتان وستة وعشرون **(226مرّة)** ويقول عنه العلايلي: "إنّه للتّصلب و التّغيّر المتوزّع، وهو يوحي بالصّلابة والقساوة وكأنّه من حجر الصّوان"[2]،ولعلّ ما يتّسم به هذا الحرف ينسجم مع قساوة وصلابة الاستعمار الفرنسي وممارساته الّتي هدفت إلى القضاء على الأمّة العربّية بجعلها خاضعة له، تئنّ تحت سلطته وجبروته، ومن أمثلته:**(أعتقد، واحد، المجاهدة، صدقة، التّعهد، الأقدار...إلخ).**

أمّا الذّال فهي صوت احتكاكي،مجهور، مرقّق، أسناني، تردّد سبع وثلاثون **(37مرّة)** وهو تواتر ضئيل مقارنة بترديدات الأصوات الأخرى، ومن صور تواجد هذا الصّوت في الخطاب الكلمات الآتية: **(الأذهان ، يعذّب ، أفلاذ ، الذّمم ، لذلك...إلخ).**

إضافة إلى ترديده لحرف الغين وهي: صوت مجهور، مفخّم طبقي، رخو، منفتح مستعل، وصفه ابن سينا بقوله :<<وأمّا الغين فهو أخرج منّ ذلك يسيرًا وليست تجد من الرّطوبة، ولا من قوّة انحصار الهواء ما تجده الخاء، والحركة فيه إلى اقرار الرّطوبة أميل منها إلى دفعها إلى خارج؛ لأنّ الحركة فيها أضعف وهو أنّها تحدث في الرّطوبة الحنكيّة كالغليان و الاهتزاز>>[3]،وتكرّر هذا الصوّت ثمانية وستّون **(68مرّة)**، ومن الألفاظ الّتي تضمّنت هذا الصّوت: **(غاب، غفل، غصن، تغربّت، طغت، غاية...إلخ)**، فهذا الغليان والاهتزاز الّذي تتّسم به الغين عند حدوثها يتقاطع مع معاني القلق والاضطراب بالنّسبة للخطيب.

ولا ننسى صوت الجيم؛الّذي وظّفه الخطيب وجعله يتواتر مئة واثني عشر **(112 مرّة)**، وهو صامت، مجهور، غاري، شديد، يختلط صوتها الانفجاري بنوع من الحفيف يقلّل

[1]– سعد محمّد عبد الغفّار، خارطة التّراث الصّوتي عند العرب، ص117.

[2]– حسن عبّاس، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، ص67.

[3]– نادر أحمد جرادات، الأصوات اللّغويّة عند ابن سينا: عيوب النّطقوعلاجه، ص107.

من شدّتها، وهو ما يسمّيه القدماء بتعطيش الجيم، و يسمّيها إبراهيم أنيس الجيمالقاهرية[1]ومن الأمثلة الدّالة على هذا الحرف في الخطاب نجد:(**خرجت أمجاد، المجحف، الموجة الجزائر، جمعيّة...إلخ**).

فقد استخدم الخطيب هذا الصّوت ليعبّر به عن الانتماء القومي للجزائر، والإصلاح الّذي جاءت به جمعية العلماء المسلمين ولا يزال الإبراهيمي يستوحي من الصّوامت دلالات تكشف عن مكنوناته الدّاخلية، و تشبّع رغبته في التّعبير عمّا يجول في ذاته من معانٍ متعدّدة، وفي هذا الإطار يعاود تكرار الأصوات، إذ القارئ أو الدّارس لهذا الخطاب يلاحظ توظيفه للواو والياء الصّامتتين، حيث يصف ابن سينا الواو بقوله: "وأمّا الواو الصّامتة فإنّها تحدث حيث تحدث الفاء ولكن بضغط وحفرللهواء ضعيف لا يبلغ أن يحدث صفيرً"[2]، وهي صوت مجهور، طبقي، تواترأبرع مئة وأربعة وتسعون **(494مرّة)**، ومن الكلمات الّتي ارتبطت بهذا الحرف نجد:(**يحلو، الوصف، الأخوّة، هو، هوى، الصّفوة، موجة، خلود ...إلخ**).

وإلى جانب ترديد صوت الواو نجد صوت الياء وهو صامت مجهور غاري، وظّفه الخطيب بتواتر ثلاث مئة وستة **(306 مرّة)**،"وتحدُث حيث يحدُث السّين والزّاي ولكن بضغط وحفر للهواء ضعيف لا يبلغ أن يحدِث صفيرًا"[3]،وممّا يدعّم حضور هذا الصّوت في الخطاب الألفاظ الآتية:(**"أيّها، عيناي، يجمعها، يعذّب، الصّوتين، بين، بعير...إلخ**).

---

[1]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغويّة ، ص24

[2]– نادر أحمد جرادات، الأصوات اللّغويّة عند ابن سينا: عيوب النّطق وعلاجه، ص117.

[3]– المرجع نفسه، ص ن.

فهذان الصّامتان وردا لأداء وظائف نحويّة وصرفيّة ودلاليّة، إضافة إلى الوظيفة المعجميّة بين الصّيغ والقوالب.

وبالتالي هناك علاقة وشيجة بين هذه الأصوات والحالة النّفسية للخطيب؛ إذ يضع الصّوت في الوضع الّذي يقتضيه السّياق، ليصبح شفّافًا يدلّ على ما يحمله من دلالات إيحائيّة تتلاءم وصفة الصّوت الّتي تتوائم والمقام الّذي وردت فيه،حتّى يظنّ القارئ أو السّامع أنّ بينهما محاكاة تبدو صامتة لمن لا يلمح تلك العلاقة.

والملاحظ على هذه الصّوامت الواردة في الخطاب وتكراراتها، سواء كانت مجهورة أم مهموسة أنتجت بنية لغويّة متكاملة صوتيًّا ودلاليًّا، والجدير بالذّكر في هذا المقام أنّ الأصوات المجهورة طغت على بنية الخطاب، وسيطرت عليه بكثرة تردّدها، فقد قدّر التّواتر الكلّي للأصوات المجهورة أربعة ألاف وست مئة وخمسة وعشرون **(4625)** وفي المقابل التّواتر الكلّي للأصوات المهموسة ألفين وخمس مئة وسبعة وعشرون **(2527)**هذه المزاوجة الرّاقية بين لونين متمايزين من الأصوات الصّامتة ساهمت في التّشكيل الصّوتي والجمالي للخطاب، كما أضفت عليه إيقاعًا موسيقيًّا يتراوح بين الارتفاع والانخفاض، وذلك نابع من الحالة النّفسية للخطيب.

وإذا تصفّحنا هذا الخطاب عمومًا فإنّنا نجد الإمام الإبراهيمي كرّر بعض الكلمات وإذا كان لتكرار الحرف وظيفة جماليّة فإنّ لتكرار الكلمة وظيفة أبلغ وأوقع في النّفس، ولجأ الخطيب لتكرار الكلمة من أجل الزّيادة في الإلحاح حول قضيّة ما بطريقة فنّية أو لفت الانتباه، والتّأثير في المتلقّي بجعله يحسّ وينفعل، ومن ثمّ يسلّم بفكرته أو نصيحته، ومن الكلمات الّتي ورد تكرارها في الخطاب كلمة "**الإخوان**" استعملها الإمام للدّلالة على عمق العلاقة بين الإنسانيّة، كما أنّ هذه الصّفة الّتي تميّز بها فكره هي أصلاً من الأصول الّتي قامت لأجله الحركة الإصلاحيّة، وجمعية العلماء هي جزءٌ لا يتجزّأ من هذه الحركة، كما

نجد كلمات أخرى مكرّرة، لكن حضورها قليل، ومن أمثلة هذه الكلمات: **(حضرات، أصحاب الإسلام، أخاطب، العقيدة، الجزائر، العروبة، باريس، الشّمال الإفريقي...إلخ)**، وبهذا التّكرار استطاع البشير الإبراهيمي تأكيد كلامه والتّركيز على القضيّة الّتي حملها ودافع عنها وسعى إلى تحقيقها في أرض الواقع، وكرّر هذه الألفاظ بالذّات؛ لأنّه رأى في الدّين الإسلامي والعقيدة الدّعامة الأساسيّة لمقوّمات الشّخصيّة الجزائريّة، ومن دونهما لن تقوم للجزائر قائمة، كما كرّر لفظة باريس ليذكّر بالممارسات والأفعال الشّيطانيّة الّتي خلّفها الاستعمار خاصّة ما تعلّق بمحاولة طمس الدّين الإسلامي، وضرب الهويّة الوطنيّة العربيّة.

ثانيًا/ دلالة الصّوائت:

تمثّل الصّوائت عنصر رئيس في اللّغة العربيّة، وخاصّة في صياغة الكلمات؛ إذ يستحيل أن تصاغ كلمة واحدة دونها، ونظرًا لما تتمتّع به هذه الصّوائت من قيمة تعبيريّة خاصّة، أولاها الخطيب اهتمامًا كبيرًا فوظّفها ليضفي على الخطاب شيئًا من وضوح المعنى ومن هذه الصّوائت الّتي دلّت على قدرة الخطيب على التّعبير وإيصال المعنى صوت الألف وذلك في قوله: **(يا ضيوفنا، يا إخواننا، هاهو الشّرق)**، هذا الصّائت المجهور تكرّر في الخطاب ثمان مئة واثنان وأربعون **(842 مرّة)** ويمتاز بشدّة وضوحه السّمعي وقوّة الإسماع ممّا جعله يتناسب مع السّياق؛ لأنّ الإبراهيمي في مقام تصوير واقع الحال لهذه الوفود العربيّة الإسلاميّة، فكان لزامًا عليه أن يجهر بصوته مدوّيًا، ويُسمع خطابه عامّة السّامعين المسلمين منهم والمسيحيين– لأنّهم لم يكونوا على دين واحد– لذلك كانت للألف وظيفة كبيرة في توصيل فكرته وإسماع صوته عاليًّا بلغة صريحة واضحة لما تمتاز به من وضوح سمعي، كما استعملها للتّعبير عن تلك التّأوّهات الّتي تنبع من صدر مهموم يأمل في تغيير هذا الواقع، والألف على حدّ تعبير سيبويه <<صائت طويل له سمة الامتداد والاستمرار>>[1]

[1]– سيبويه، الكتاب، ج4، ص136.

أي أنّها تحتاج إلى نفس أطول، وتمتدّ إلى أقصى مدى ممكن من الاندفاع والانتشار حتّى تصل إلى المتلقّي، وهذا ما يتناسب مع طول التّأوّهات المعبّر عنها.

وعليه فالوظيفة الّتي تؤدّيها الألف في الدّلالة لم تكن جزافًا، وإنّما كانت بما تمتّعت به تلك الحركة من صفات لم تجتمع عند غيرها من الحركات، كما صرّح البشير الإبراهيمي بأنّ أبناء الشّرق لم يتغرّبوا هكذا...وإنّما كان هدفهم إيصال أصوات شعوبهم للعالم حيث يقول:**(هاهو الشّرق رمى باريس...الّتي سمّيت بغير اسمها)**[1]، واقتدى بهم أبناء المغرب العربي فتغرّبوا هم أيضًا، فنسو أهلهم وإخوانهم خدمة لأوطانهم وشعوبهم، ليتحمّلوا معهم نفس المسؤوليّة والوزر، وفي هذا المقام يقول: **(رمى الشّرق باريس بأفلاذ من كبده...وضعيفان يغلبان قويًّا)**[2]، ثمّ انتقل الإبراهيمي مبديًّا الفوارق القائمة بين الحضارة الإسلاميّة؛ الّتي مثّلها الدّين الإسلامي، والحضارة الغربيّة الّتي مثّلتها الأديان الرّاحلة أو الفاتحين لهذا الوطن قبل الإسلام، وكلاهما مرّ بهذه الدّيار(الجزائر)، غير أنّ الحملات الأولى للغزو الأجنبي على الشّمال الإفريقي كانت تحمل في طيّاتها بذور فنائها، فقضت على نفسها بنفسها؛ لأنّ تصرّفاتها وسلوكاتها تبّررّ الثّورة عليها، لكن بمجيئ الإسلام، وفُتِح الشّمال الإفريقي، وجد فيه سكّانه الانسانيّة بمعناها الصّحيح كما وجدوا فيه ما يستجيب لمطالبهم الرّوحيّة والمادّيّة، فاعتنقوه وفتحوا له قلوبهم وعقولهم، وفي هذا الصّدد يقول: **(لم يؤثّر الفاتحون المتعاقبون على الشّمال الإفريقي...مادامت الفوارق قائمة بين الانسان والحيوان)**[3]، فنجد بذلك حركتي الواو والياء من الصّوائت الّتي ساهمت في إيصال هذه المكنونات للخطيب، وأشبعت رغبته في إفراغ أحاسيسه، وقد أضفى عليها مزيدًا من التّعبير والدّلالة؛ وذلك حين جعلها في بداية الفقرة أو الفكرة– لم يؤثّر الفاتحون المتعاقبون– إلى

[1]– محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص466.

[2]–محمّد البشير الإبراهيمي، ج2، ص466، 467.

[3]– المصدر نفسه، ص467.

جانب كلمات أخرى مثل: <<النّفوس، التّأثير، العقول، الصّحيح، الإفريقي>>، الأمر الّذي يلزم القارئ بإطالة المدّ في هذه الأصوات، ففي هذه الفقرة تبرز معاني التّأسّف والحسرة على ما كان سائدًا في الحضارة الغربيّة، والافتخار والتّذكير بالمبادئ الّتي جاء بها الإسلام وشتّان بين هذا وذاك، ويعبّر عنها الخطيب بصورة لافتة للنّظر، فصوت الياء صائت أماميّ ضيّق كما يصفه المحدثون، وهي تكشف عمّا في صميم الإنسان أو الأشياء من خصائص، وفي هذا الصّدد يقول عبّاس حسن (أنّ الياء إذا تحرّك ما قبلها بالكسر فإنّها تعطينا صورة الحفرة العميقة والوادي السّحيق، وتكشف في هذه الحالة عمّا في صميم الإنسان أو الأشياء من الخصائص المتأصّلة فيها)[1]، ولعلّ تكرار هذان الصّائتان– الواو بترديد مئتان وتسعة وثلاثون **(239)** والياء بترديد أربع مئة وثلاثون **(430)** جاء مناسبًا ومشاعر النّفس الممتدّة والأحاسيس العميقة، وخاصّة في حالة القلق والاضطراب، أمّا وجودها في الخطاب بأكمله يعود إلى عدّة أسباب منها: الخصائص الطّبيعيّة الّتي تمتاز بالوضوح السّمعي، وتشدّ الانتباه إلى ما في النّص من معانٍ توجب النّظر، ويعود البشير الإبراهيمي لتوظيف أصوات المدّ عمومًا والألف الطّويلة خصوصًا ممّا جعل قراءة هذه الفقرة والاستماع إليها ملفتًا للنّظر ومن بين الكلمات الّتي تضمّنت هذا الصّائت:<<**الأجداد، لسان، الإسلام، سواحل، الشّمال جبال الرّمال، سلاسل، الماء، الهواء...إلخ**>>، فنجده يكافح على الوحدة مرّة أخرى بين أقطار المغرب العربي الكبير؛ وذلك نظرًا لما يملكه هذا الشّمال الإفريقي من خصائص تجمع الوطن الواحد من لسان عربي، ودين، سواحل...

إذ المتأمّل لهذه الكلمات يجد صوت المدّ (الألف) ذا بعد دقيق التّصويت، ظاهر التّناسب مع تدفّق وامتداد وجدان الخطيب في دفاعه عن الوحدة الّتي تربط بين أجزاء الشّمال الإفريقي؛ ذلك لأنّ امتداد الصّوائت عامل أساس في اتّساع دلالتها المتنوّعة، الأمر الّذي هيّأ للخطيب فرصة استطاع من خلالها أن عبّر عن قضيّته الممتدّة، وفي هذا السّياق يقول:

[1]– عبّاس حسن، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، ص99.

(وإنّ هذا الشّمال الإفريقي كلّ لا يتجزّأ...ينتظم المغارب في سلك)[1]، ويبقى الأمل سلاح المؤمن، وهاهو إمامنا يأمل في الغدّ الأفضل رغم مرارة الواقع وحقيقته المؤلمة، فدعاالعرب والمسلمين أن يجعلوا من ليلتهم تلك آخر ليلة يطوون بها زمن الفرقة، وأكّد ذلك بقوله: **(إنّني متفاءل بما يتفاءل به السّارون...﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم... ﴾ الرّعد/ الآية11)**[2]، وانتقل بنا الخطيب إلى الحديث عن حال الأمّة العربيّة الإسلاميّة الّتي تسير إلى المجهول بسبب الاستعمار الّذي استهدف القضاء على تاريخها وماضيها، وزعم أنّ هذا الماضي لا يمكن الاعتماد عليه، في حين تؤسّس فرنسا لماضيها وتخلّد عظمائها ورجالها الّذين صنعوا لها تاريخًا ظلّت تعتزّ به دهرًا مديدًا ، يقول الخطيب في هذا المعنى **(يقول المستعمرون عنّا: إنّنا خياليّون...وهذه متاحفهم تردّد الشّهادة)**[3] وإذا تصفّحنا هذا الخطاب عمومًا فإنّنا نجد أصوات المدّ(الألف، الواو، الياء) تسيطر على النّص من بدايته إلى نهايته، وسبب هذا التّردّد وكثرة الدّوران وضوح الصّوائت وقدرتها على إيصال المعنى، هذا فضلاً عمّا تتّصف به من قوّة الإسماع الّتي تلازم طولها.

ولا يزال محمّد البشير الإبراهيمي يتّخذ من الصّوائت وسيلة للتّعبير عن مكنوناته وهاهو يستخدم المدّ بالألف مرّة أخرى، وفي فقرة أخرى، حيث ورد هذا الصّائت في الخطاب طويلاً، كما ورد مقصورًا كما هو الحال في كلمات **(نهى، أهوى، الأقوياء)**، وهذا لا يعني وجود اختلاف من النّاحيّة الفسيولوجيّة بين الألفين، بل إنّ هذه المدود جعلت الخطاب أكثر حيويّة وفاعليّة وجعلت التّركيب أكثر تأثيرًا وأبعد عمقًا، والألف كما ذكرنا سابقًا حركة واسعة منفتحة، هذا الانفتاح والتّوسّع الّذي تتّسم به الألف تجسّد في نصح الخطيب للشّباب وإرشادهم، فنجده يصرّح بأنّ الشّباب هم الأمل في إصلاح هذه الأمّة، وهم الّذين عليهم

[1]– محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص467.

[2]–محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص467.

[3]– المصدر نفسه، ص467، 468.

يعوّل، كما أنّهم أحقّ النّاس بتوضيح وتبيان العبر، وأخذ المواعظ، وأنْ يسيروا على منهج الأوائل كالمتنبّي وأحمد شوقي، فأولى لهم بذلك أهمّية قصوى بأن جعلهم أكبر همّه، وبنى عليهم دعوته، وفي هذا الصّدد يقول:<< **إنّ شبابنا هم أحقّ النّاس باستجلاء هذه العبر...حتّى يؤدّوا امتحانًا في الحياة على منهج المتنبّي وطريقته**>>[1].

وعليه فالألف بما فيها من صخب وجرس قوي وصوت عالٍ مسموع تناسبت وحالة الخطيب في إشعال حماسة الشبّاب الجزائري ورفع هممم، فأحدث بذلك هذا الصّائت نوعًا من التّوازن بين دلالة الألفاظ ونفسّية القارئ، والكلمات الآتية تؤكّد حضور هذه الحركة الطّويلة: (شبابنا، مواعظ، الحياة، امتحانا، الفُلاة، التّعاليم...إلخ)، فتوظيف هذا المدّ في الكلام زاد من حيويّة الخطاب بجعله مجانسًا للأفكار والأحاسيس.

كما سجّلت حركتي (الواو والياء) حضورًا قويًّا في الخطاب، حيث لا تكاد تخلو فقرة واحدة منهما، استعملهما الإبراهيمي بطريقة شعوريّة للتّعبير عن المعاني المختلفة، وحتّى نعزّز فكرة توظيف الخطيب لهذا النّوع من الصّوائت في الخطاب ومدى انسجامه مع الدّلالات، فهذه بعض الأمثلة: **(متمسّكين، المسلمين، التّعاليم، التّهاويل، تقسيم، تبديل جبارين، مواعظ، الواحدة، إخواننا، القوافل، القواعد...إلخ)**، ففي هذا السّياق وظّف هذين الصّائتين ليدعو العلماء بأن يقوموا بواجبهم في الدّعوة إلى الإسلام ووحدة المسلمين، لأنّهم أولى بذلك، ويرى أنّ كلمة الحقّ والجهر بها أمانة عظيمة في عنقهم، وفي هذا المقام يقول الإبراهيمي:<<**إنّ أوّل من يجب عليه أن يؤذّن بهذا الصّوت جهيرًا مدوّيًا هم علماء الإسلام...في هذه الدّار وفي تلك الدّار**>>[2]، فنلحظ أنّ المدّ بالواو والياء هنا جعل الخطاب

[1]– محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص469.

[2]– المصدر نفسه، ص 472.

أكثر حيويّة وفاعليّة، كما أضفى إيقاعًا موسيقيًّا، وجعل التّركيب اللّغوي أكثر تأثيرًا وأبعد عمقًا في نفوس المتلقّين.

وبالتّالي فهذه المدود ساهمت بقدر كبير في إخراج أكبر كمّية من النّفس، والّتي تتفجّر من خلالها تلك الشّحنة المكبوتة لتخرج الأفكار الدّفينة من حيّز الكتمان إلى حيّز الوجود.

وإلى جانب وجود الحركات الطّويلة في الخطاب وحضورها بشكل كثيف، نجد كذلك الصّوائت القصيرة (الفتحة، الضّمّة، الكسرة)، وهي لا تقلّ أهمّية عن الحركات الطّويلة في تحديد الدّلالة، وتمييز معاني الكلمات، ومن صور تواجد هذه الحركات في الخطاب قول البشير الإبراهيمي: **(إِنَّ الَقَوْمَ يَحْتَقِرُونَ حَاضِرَنَا الّذي أَوْصَلُونَا إِلَيْهِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّنَا صِبْيَانٌ فَيَتَذَكَّرُونَ مَاضِيْهِمُ لِيَبْنُوا عَلَيْهِ حَاضِرَهُمْ وَ مُسْتَقْبَلَهُمْ...ومَا صَنَعَ المُثَنَّى وَسَعْدٌ وَخَالِدٌ وقُتَيْبَةٌ فِيْ الشَّرْقِ)**[1]، فحاول الاستعمار محو مقوّمات الحضارة العربيّة الإسلاميّة من عقول أبناء الأمّة نهائيًّا، وجعلهم خاضعين لسلطته، كما سعى إلى تحريف أسماء علماء المسلمين حتّى لا يبقى متّسع لذكريات السّلف في قلوب الأجيال وعقولهم، ولم يتوقّف عند هذا الحدّ بل تعدّاه إلى تشويه التّاريخ الإسلامي وإفراغه من محتواه العلمي والأدبي، كما ساهم في تنوير أذهانهم بالثّقافة الغربيّة، وفي هذا المقام يقول الخطيب: **(أَلاَ إِنَّهُمْ يُذَكِّرُونَ أَبْنَاءَهُمْ بِمَاضِيْهِمْ، وَيُلَقِّنُونَهُمْ سِيَرَ أَجْدَادِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ...بِالعُقْمِ الفِكْرِيِّ)**[2].

فلو استقرأنا هذا الخطاب عمومًا، وهاتين الفقرتين خصوصًا نجد أنّ الحركة القصيرة(الفتحة) تردّدت حوالي خمسة ألاف وأربع مئة وثمانين **(5480 مرّة)** وعند نطقنا

[1]– محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص468.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

بها تكون أعلى نقطة من اللّسان أماميّة، وبعيدة عن الغار، والفم مع هذه الحركة يكون مفتوحًا

بنسبة أكبر، والشّفتان تأخذان مع هذه الحركة وضع الحياد التّام[1]، ومن صفاتها: حريّة خروج الهواء خروجًا سلسًا غير مزاحم حال النّطق بها، الوضوح السّمعي، الجهر، كما أنّها حركة خفيفة لا تحتاج إلى جهد عضلي لإخراجها، لهذا نجدها أكثر انتشارًا في الكلام، وبالتّالي فهذه الخصائص للفتحة تفسح المجال أمام الخطيب ليعبّر بطلاقة عن الأعمال الخبيثة والأفعال الشّيطانيّة الّتي يمارسها الغرب الصّليبي على أبناء الأمّة العربيّة الإسلاميّة، ويدلّ تتابع هذه الحركة على امتداد المعنى وانفتاحه؛ لأنّ نطقها يقتضي انفتاح الفم، وانفراج آلات النّطق وامتدادها، كما ترد الكسرة حوالي ألفين وخمسة وستّون **(2065)**، "وهي حركة أماميّة ضيّقة...بمعنى أنّ مقدّم اللّسان عند النّطق بها يكون أقلّ ارتفاعً"[2]، وتكون الشّفتان في حالة انفراج وتراجع نحو الخلف، وهي بانفراج الشّفتين فيها تحمل دلالة الأمل والتفاؤل الّذي يتجسّد في وضع علاج مناسبٍ لمواجهة تلك المصيبة الّتي نبّه إلى خطرها إمامنا وهي تثقيف النّاشئة تثقيفًا عربيًّا شرقيًّا موحّدًا، في ظلّ تعدّد الثّقافات الّذي أفرزته ظروفًا استعماريّة فيقول:**(وإنّما لمصيبة يجب علينا أن ننتبه إلى خطرها...ونبادر بالعلاج...وكلّها مجتمعة على اهتضامنا وهضمنا)**[3].

والمتأمّل لهذا الخطاب يلحظ سيطرة حركة الضّمّة من بداية المقال إلى نهايته فتواترت حوالي ألف و ثلاثة وسبعون **(1073)**، وسنأخذ قول الخطيب كمثال

[1]– منال محمّد هاشم نجّار، أصوات الحركات العربيّة، دراسة دلاليّة جماليّة، المجلّة الأردنيّة في اللّغة العربيّة وآدابها، مج6، ع3، 2010، ص129.

[2]– محمّد جواد النّوري، علم الأصوات العربيّة، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، ط1، 1996ص188.

[3]– محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص468.

لتوضيحها(**لَيْسَ مِنْ سَدَادِ الرَّأْيِ أَنْ يُضِيْعَ الضَّعِيْفُ وَقْتَهُ فِيْ لَوْمِ الأَقْوِيَاءِ...ويَلْجَأُوا إِلَيْهَا إِلْجَاءً**)[1] فإمامنا هنا يحذّر من إضاعة الوقت في الجدال، ويرى أنّه ليس من الصّواب توجيه اللّوم والعتاب إلى غيرنا، لأنّ ذلك لا يجدي نفعًا، بل الواجب أن نلوم أنفسنا على التّقصير ثمّ يشبّه حال من يلوم المستعمر بحال الخروف الّذي يعتب على الذّئب، وينتظر توبته وهيهات ذلك، وفي هذا الشّأن يقول:" **أمّا لومنا إيّاهم فهو لوم الخروف للذّئب...ويلجأوا إليها إلجاء**"[2] فنجد الخطيب هنا يستخدم الضّمّة لأنّها جاءت ملائمة وموقفه، فعند النّطق بها يرتفع مؤخّر اللّسان نحو منطقة الطّبق إلى أقصى درجة ممكنة، والشّفتان تتّخذان وضع استدارة كاملة، مع بقاء فرجة بينهما[3]، هذا الارتفاع الّذي في الضّمّة جاء مناسبًا لترفّعه عن اللّوم والعتاب لأنّهما صفتان للضّعفاء، وأنّ المحتلّ لا يؤمن إلاّ بالقوّة، كما نلاحظ أنّ الخطيب نوّع في استعمال الحركات القصيرة، فوظّف الفتحة بنسبة كبيرة؛ لأنّها حركة بسيطة خفيفة لا كلفة فيها، ولا تتطلّب غير مجهود يسير، واستخدم حركتي الضّمّة والكسرة لأنّهما تتلاءمان والمقام الّذي وردتا فيه، وتدلّ حركة الضّمّة على قصر المعنى، لضمّ الشّفتين عند النّطق بها، أمّا الكسرة فتدلّ على الخفض؛ لأنّ الشّفة السّفلى تنخفض إلى أسفل عند التّلفظ بها.

وعلى الوتيرة نفسها يتدرّج الإبراهيمي مشيرًا إلى الأساليب والوسائل الّتي مارسها الاحتلال للقضاء على عناصر الهويّة الّتي تحفظ للأمّة وجودها، وتضمن لها بقائها، كما سعى هذا الاستعمار جاهدًا إلى تفتيت الأمّة الواحدة إلى دويلات صغيرة حتّى لا تقدر على الصّمود، وعمد في ترسيخ هذه التّجزئة على التّعليم، والتّبشير، والتّجارة وغيرها، وكان الهدف

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 469.

[2]–محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، مصدر سابق ،ص469.

[3]– منال محمّد هاشم نجّار، أصوات الحركات العربيّة، ص129.

هو أن تبقى هذه الشّعوب خاضعة له، وفي هذا المعنى يقول:<<**إِنَّ النُّقْطَةُ الّتي اِبْتَدَأَ مِنْهَا بَلَاؤُنَا وَشَقَاؤُنَا هِيَ أَنَّهُمْ أَرَادُوا عَلَى الإِنْقِسَامِ وَزَيَّنُوهُ لَنَا...وَجَفَّ القَلَمُ، وَلَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ**>>[1]، وتتّسم الفتحة بالخفّة والسّهولة[2]، وتواءمت هذه الصّفات مع إيحاءات الخفّة والسّهولة الّتي يجدها الحاكم المستبد في ارتكاب جرائمه في حقّ الشّعوب العربيّة، خاصّة ما تعلّق بمحاولة طمس الدّين الإسلامي، وضرب الهويّة الوطنيّة العربيّة، فيفعل ما يشاء دون ان يجد من يردعه أو يواجهه.

أمّا الكسرة وما تدلّ عليه من انخفاض وانكسار؛ لأنّ الشّفة السّفلى تنخفض إلى أسفل عند التّلفظ بها، فهذه المؤشّرات الصّوتيّة تنسجم مع معاني الانكسارات وتراجع أوضاع الأمّة بسبب ما خلّفه هذا الحاكم المستبّد، فهيمن بذلك هذا الصّائت على الخطاب معبّرًا عن معاني التّأسّف والحسرة، وما يلازمها من انكسار على الأوضاع الّتي خلقتها عوامل التّقسيم والتّجزئة الّتي أقامها الاستعمار البغيض لتمزيق الأمّة وتفكيك وحدتها.

وبقي أن نشير إلى الصّائت القصير الثّالث (الضّمّة)، وهي حركة خلفيّة ضيّقة[3]، تتّسم بالثّقل، هذه المؤشّرات الصّوتيّة تنسجم مع العبأ الثّقيل والمسؤوليّة الكبيرة الواقعة على عاتق كلّ عالم مسلم، حيث يرى الإبراهيمي أنّ السّكوت عن الحقّ حين لا يجب السّكوت يعدّ خبثًاوخيانة في نظره.

ويخلص الخطيب إلى اعتبار الوحدة أمرًا لا مفرّ منه بالنّسبة للشّعوب العربيّة الإسلاميّة إذا أرادت التّحرّر من الاستعمار واستبدال السّعادة بالشّقاء.

---

[1]– محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص470، 471.

[2]– أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص151.

[3]– محمّد جواد النّوري، علم الأصوات العربيّة، ص188.

ويختم الإبراهيمي خطبته بكلمة قصيرة ينصح من خلالها لسامعيه ويوصيهم قائلاً:<<**أيّها الإخوان إنّ الكلام لطويل...والسّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته**>>[1].

وما يمكننا قوله أنّ ترديد الخطيب لهذه الصّوامت والحركات ووضعها وتوزيعها داخل النّص دلالة على المهارة الفنّية القويّة للخطيب، وصدق تجربته وانفعالاته؛ لأنّ استيحاء الدّلالة من الأصوات، وتحويل الأرقام إلى تأويلات وتفسيرات ذات قيمة ترتبط بالإطار العام للنّص وسياقه عمل شاقّ ومضني يتطلّب الصّبر، والتّأمّل، وإعمال الفكر، ويقظة الشّعور.

[1]– محمّد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص472.

ملاحق :

التّعريف بالبشير الإبراهيمي:

- حياته، فكره، أدبه:

من المؤمنين رجال، ومن الرّجال مؤمنون، وهم الّذين يصنعون أمجاد الأمّة وتاريخها، فهمالواعون بأهميّة العمل من أجل استمرارها، والجزائر- عبر تاريخها الطّويل- أنجبت شخصيات جليلة شاركت في صنع الأحداث العظيمة الّتي مرّت بها...ومنهم البشير الإبراهيمي وهو أديب وشاعر وعالم ومصلّح ومجاهد، وهو واحد من كبار رجال اليقظة العربيّة الإسلاميّة الحديثة.

وقد عُرفت هذه الشّخصيّة بالذّكاء وما جادت به قريحته من آراء نقديّة ومعانٍ مبتكرة في البلاغة والكتابة، دليلٌ على عقليّةخصبة وذكاء متوقّد.

وممّا عُرف به الهمّة العالية في طلب العلم الّذي استعذب تحصيله كل مشقّة كما يقول:<< العلم لا يعطى القياد إلاّ لمن مهره السّهاد وصرف إليه أعنّة الجهاد>>[1].

"والإبراهيمي" يرى أنّ العلم أمانة(...)وأنّ حملة الأقلام يجب ان يؤدّوا رسائلهم على الوجه الأكمل.

والحديث عن أيّ جانب من هذه الشّخصيّة يقودنا إلى جوانبها الأخرى؛الّتي تنسجم مع بعضها، فجميعها تدور في فلك واحد هو الجزائر، الإسلام، العروبة.

يقول" باعزيز بن عمر" في مذكّراته: سألناه- البشير الإبراهيمي- مرّة ونحن في إدارة البصائر عن تاريخ ميلاده ومبدأ تعلّمه فقال ما لخّصته: ولدت أنا والشّيخ عبد الحميد بن باديس في سنة واحدة وهي سنة 1889م، فاتفقنا في الميلاد زمنًا واختلفنا مكانًا(...)، أمّا أنا ولدت بسيدي إبراهيم من نواحي سطيف...[2]، وقد أتمّ حفظ القرآن الكريم على يد عمّه الشّيخ الملكي الإبراهيمي الّذي اكتشف مواهبه المبكّرة، وكان له الفضل في تكوينه؛ حيث جعل منه

[1]- محمّد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الأمّة، الجزائر، 2007، ص217.

[2]- ينظر: باعزيز بن عمر، من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين بن باديس والإبراهيمي، منشورات الخير، ط2، 2007، ص100.

ساعِده الأيمن في تربية الطّلبة، فحفظ الإبراهيمي فنون العلم، القرآن مع فهم مفرداته، وفي النّحو حفظ ألفيّة ابن مالك، وألفيّة ابن معطى الجزائري، كما حفظ جمع الجوامع في الأصول وتلخيص المفتاح للقزويني، ثمّ لقّنه عمّه دواوين فحول الشّعراء، كشعر المتنبّي(...)، فكان عمّه يتدرّج به من كتاب إلى كتاب حفظًا وتلقينًا[1].

وبعدما مات عمّه خلفه في التّدريس وعمره أربعة عشر سنة، وبعد فترة من التّدريس سافر لاستكمال تعلّمه إلى زاوية علي بن شريف بجبال القبائل، وهناك درس على يد الشّيخ "مبارك البعلاوي الزواويّ، ثمّ خرج من الوطن للالتحاق بأسرته الماكثة بالمدينة المنوّرة و هناك التقى بعدد من العلماء وأدبائها وشعرائها، وعندما استقرّ في المدينة المنوّرة درس فيها على يد كبار علمائها، ثمّ أصبح يُلقي الدّروس للطّلبة[2]، وخلال إقامته بالمدينة المنوّرة في موسم الحجّ 1913 التقى " بالإمام عبد الحميد بن باديس"، وما من شكّ أنّ هذه اللّقاءات شهدت ميلاد فكرة تأسيس "جمعية العلماء".

وفي سنة 1917 انتقل "الإبراهيمي" إلى دمشق، حيث دعته حكومتها لتدريس الآداب العربيّة بالمدرسة السّلطانيّة(...)، فتخرّج على يده جيل من المثقّفين، وكان له الحظّ الوفير والتّأثير الكبير في الحركات التّحريريّة، فعمل مع عدّة جمعيات كانت تهدف إلى توحيد العرب والمسلمين.

وفي سنة 1920 عاد الإبراهيمي للجزائر، وأعجب بعد وصوله بالنّتائج المثمرة الّتي حقّقها بن باديس؛الّذي كان يقود حركة ثقافيّة صحفيّة بمدينة قسنطينة.

وفي عام 1931م، "تأسّست جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين"(...)، وتمّ تحضير قائدها الأساسي من طرف "الإبراهيمي"، وأصبح نائبًا لرئيسها " بن باديس".

---

[1]- ينظر: الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، تح: طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ص09.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص10.

وقد أوتي الإبراهيمي من شروط القيادة ما جعله يحظى بمكانة مرموقة بين جلّ المصلحين والمفكّرين والأدباء(...)، ونظرًا لتوجّهاته الفكريّة والإصلاحيّة البارزة حاولت فرنسا إغرائه واحتوائه، فرفض رفضًا قاطعًا، ممّا عجّل على نفيه، وتمّ إطلاق سراحه سنة 1952و زجّ به في السّجن وأشرف على تحريرها، وسافر الإمام للمرّة الثّانية سنة 1952ممثّلاً جمعية العلماء المسلمين من أجل قبول بعثات طلاّبيّة جزائريّة، والتّعريف بالقضيّة الجزائريّة[1].

- أسلوبه:

وللإبراهيمي أسلوبه المتميّز برصانته، وأحكام بنائه، وانتقاء ألفاظه الجزلة الفخمة وحسن التّأنّق في صياغته؛ فهو كما يصفه الأستاذ عبد المالك مرتاض استمرار للأساليب الفَحْلَة القديمة، وتطوّر لتعابيرها وطرائقها في تدبيج القول، وزخرفة الكلام؛ لذلك يجد فيه الباحث كثيرًا ممّا يجد به الأساليب الفحلة القديمة من جزالة الألفاظ، ووضوح في المعاني وحرص على التّأنّق في الأسلوب، ورغبة في رشّه بالمحسّنات اللّفظيّة والمعنويّة على اختلافها[2].

- وفاته:

يموت العلماء فلا يندثر منهم إلاّ العنصر التّرابي، وتبقى أعمالهم الخالدة "فالرّجال أعمال" كما درجت على لسان الإبراهيمي في الإشادة بأعمال أصحابه الّتي خلّدتهم بعد وفاتهم.

عاد الإبراهيمي سنة 1962 من القاهرة أين وجد ثمرة جهوده وأصدقائه، وعلم الحريّة يرفرف في سماء الجزائر، وفي يوم الجمعة 20 محرّم 1335هـ الموافق لـ 19 ماي 1965

[1]- ينظر: سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنيّة، دار الأمّة، الجزائر، ط1، 1997م، ص410.

[2]- عبد المالك مرتاض، فنون النّثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ط1، 1983، ص336.

اختاره الله من عمر يناهز 67 سنة، وشيعت جنازته في موكب شعبي كبير في يوم 20 ماي 1965.

- آثاره ومؤلّفاته:

لم يتّسع وقت الإبراهيمي للتّأليف والكتابة؛ وذلك للأعمال الكبيرة الملقاة على كاهله ومع ذلك ساهم بالكتابة في موضوعات مفيدة، ولكن لم يسعه الوقت، ولا وجود المطابع لطبعها فبقيت كلّها مسودّات في مكتبة الجزائر.

ومن أهمّ هذه المؤلّفات ما يلي[1]:

- كتابات بقايا الفصحى العربيّة في اللّهجات العاميّة الجزائريّة.
- كتاب النقابات والنفابات في لغة العرب.
- كتاب التّسمية بالمصدر.
- كتاب الصّفات الّتي جاءت على وزن فعل.
- كتاب الاطراد والشّذوذ في اللّغة العربيّة.

وقام نَجلَه الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي بجمع آثاره في كتاب بعنوان "آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي" المكوّن من خمسة أجزاء.

التّعريف بعيون البصائر:

هذه صور من الإبداع الأدبي وسموّ البيان العربي، وقد نُحتت كلماتها من لآلئ النّثر الفنّي، ورسمت عباراتها بروائع الذّوق الشّعري، تقدّمها لقرّاء العربيّة ودارسي خطابها، عساهم يكتشفون من خلالها نسجًا فريدًا في منهج الخطاب العربي المعاصر، وهو ما أصبح يُعرف عنه فلاسفة اللّغة الغربيين –اليوم– "بسلطة النّص".

إنّها مدرسة ذات أسلوبيّة قلّ مثيلها في منهجيّة خطابنا العربي المرسل. فهي تضرب بجذورها في أعماق التّراث العربي القديم، في الوقت الّذي تبسط فيه أغصانها المتعدّدة على

[1]– موسري الأحمدي، الشّيخان، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، دط، 1967، ص32.

فروع المعرفة الحديثة، وهي نسيج فريد من الأدب، يجمع بين حكمة قسّ ابن ساعدة الأيادي، وعقلانيّة أبي عثمان الجاحظ، وإرشادات أبي حيّان التّوحيدي، إلى جانب رشاقة أسلوب عبد الحميد الكاتب وأناقة عبارة أحمد حسن الزّيات، ورمزيّة مصطفى صادق الرّافعي، غير أنّها تزيد على ذلك كلّه بخصوصيات أخرى، وهي جزائريّة العزيمة في التّصدّي للاستعمار، ومغاربيّة الالتزام في الدّفاع عن الحريّة وعروبيّة الانتماء في التّأصيل الحضاري وإسلاميّة المنهج في علم التّصحيح العقيدي[1].

تلك هي مدرسة "عيون البصائر"، وقد كحل الله بنوره الحقّ بصيرة كاتبها، فراعت بالحكمة العقليّة في معناها وطرزت بالعبارة البلاغيّة في مبناها، فجاءت معلّمة معرفيّة جامعة، مانعة، سيجد –فيها– فقهاء الألسنيّة، وفلاسفة التّاريخ السّياسي، وعلماء الاجتماع والعارفون بالفقه وأصوله الحقّ المنشود، وقد فصّلته، و المنهج المقدود، وقد برهنته فيستنطقون بذلك الحوادث التّاريخيّة؛الّتي وضعت لها مقدّماتها، ويستجوبون أبطال التّاريخ بالموضوعيّة الّتي حدّدت خصائصها.

على أنّ ما يجب التّنبيه إليه منذ البداية هو أنّ لقراءة هذا الكتاب ودراسته، قواعد وشروطًا، لا بدّ من توفّرها لمن أراد القيام بهذه الرّسالة العلميّة، فمضمون الكتاب يحتوي على رموز قرآنيّة وإيحاءات معرفيّة، وألغاز سياسيّة، واستعارات مجازيّة، ولا بدّ لمن أراد الإقدام على هذه المهمّة من التّحلّي باستعداد فكري خاص، والتّسلّح بأدوات معرفيّة معيّنة تمكّن من تخطّي الصّعاب وكشف أسرار الحجاب[2].

إنّ جريدة "عيون البصائر" عبارة عن مقالات، وقد كانت هذه المقالات نماذج أدبيّة عاليّة؛ ذلك أنّ صاحبها ملك من العربيّة ناصيتها، فالعبارة سليمة تعتمد أدب العربيّة أعصارها الزّاهرة، وإنّ القارئ ليشعر وهو يقرأ هذا السّفر الغالي أن صاحبه ثقف، عرف

[1]– مجموعة من الكتّاب، الشّيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، دار الأمّة للنّشر والطّباعة والتّوزيع، ط2، 2012، ص38.

[2]– المرجع نفسه، ص39.

القرآن ووعى أسراره، وعرف الحديث، وأتمّ مادّة الأدب القديم، فكان له من ذلك زادٌ فكانت افتتاحات "البصائر".

فهذه المقالات ذات قيمة تاريخيّة عظيمة، فقد أثبتت أنّ الصّحافة لا تعني العزوف عن رصانة الأدب ونصاعته، كما اثبتت أنّ اللّغة الأدبيّة العالية طريقًا سويًّا للإعراب عن المشكلات السّياسيّة والاجتماعيّة.

إنّ هذه النّماذج المشرفة الّتي اشتملت عليها "عيون البصائر" لهي من الأدب العالي؛الّذي يلزم أن يكن ممّا تشتمل عليه النّماذج الأدبيّة في كتب النّصوص المدرسيّة وليس هذا الأدب إقليميًّا يتّصل بالجزائر وحدها، بل إنّه ليُمثّل الأدب العربي العالي نصاعة ديباجة، ورصانة أسلوب، وسموّ معانٍ وأهداف.

إنّ "عيون البصائر" موضوعات تتّصل بالتّعليم العربي والدّين الإسلامي وموقف السّلطة الحاكمة الاستعماريّة من ذلك، ودعوة لفصل الدّين عن الحكومة، وحديث طويل في المشكلات الاجتماعيّة والسّياسيّة، ومعالجة المشكلة الفلسطينيّة، وشيء آخر يتّصل بمشكلات المغرب العربي الكبير.

إنّ موضوعات العلاّمة "الإبراهيمي" شيء وقف عليه نفسه فجاهد في سبيله وناضل فوجّه علمه إليه فجاءت الموضوعات بنات أفكاره[1].

[1]– مجموعة من الكتّاب، الشّيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ص40.

نخلص من خلال هذا البحث المتواضع إلى جملة من النّتائج نوردها في النّقاط الآتية:

- إنّ العلاقة بين الأصوات اللّغويّة ودلالاتها ظاهرة بارزة في اللّغة العربيّة.
- لقد استطاعت هذه الدّراسة أن تقدّم مثالاً تطبيقيًّا على وجود مناسبة بين الصّوت ومدلوله.
- ورد تكرار الأصوات في خطاب البشير الإبراهيمي بوعيٍ منه وليس عفويًّا.
- سيطرت الصّوائت القصيرة على الخطاب وخاصّة الفتحة، تلتها الكسرة أحيانًاو الضمّة أحيانًا أخرى؛ وذلك حسب الغرض حيث أسهمت خصائص هذه الأصوات في التّعبير عن مواقف الخطيب وانفعالاته.
- وظّف الخطيب الصّوائت الطّويلة خاصة الألف لما فيها من امتداد واتّساعٍ ووضوحٍ لكي تعبّر بعمق وصدق عن حالاته النّفسيّة سواء في مواقف القوّة أم الافتخار أم اللّوم...إلخ.
- جاء أسلوب الإبراهيمي في هذا الخطاب مجهورًا يميل إلى النّبرة العاليّة عندما يتعلّق بالدّفاع عن قضايا هذه الأمّة الجزائريّة، وإصلاح أوضاعها، وإعادة الأمل إلى النّفوس، وجاء مهموسًا ليهمس في آذان القرّاء ما خلّفته فرنسا من جرائم في حقّ الشّعوب العربيّة الإسلاميّة.
- تبنى دلالة الأصوات في اللّغة العربيّة على الصّوامت والصّوائت معًا وبدونهما لا يفهم المعنى المقصود.
- يتبيّن لنا أنّ الحالة الشّعوريّة والنّفسيّة للبشير الإبراهيمي كان لها أثر كبير في إظهار وتجلّية دلالة تكرار بعض الأصوات في الخطاب، كشيوع الصّوامت الانفجاريّة والاحتكاكيّة، والمجهورة والمهموسة.

- تعدّ الأصوات المائعة: اللّام، الميم، والنّون من أكثر الأصوات تردّدًا في الخطاب لما تمتاز به هذه المجموعة الصّوتيّة من وضوح سمعيّ، وخفّة في النّطق وجاء توظيفها مصوّرًا للانفعالات النّفسيّة.
- أدّت الأصوات اللّغويّة دورها في الخطاب؛ حيث برع الخطيب في التّلاعب بهذه الأصوات، حتّى صارت مطواعة مُنْقادة له، فأفصحت عن خوالجه، كما أضفت إيقاعًا خاصًّا حسب الفكرة المعبّرة عنها.
- تعدّ الدّلالة الصّوتيّة من الدّلالات الوظيفيّة؛ أي لها وظيفة خاصّة تؤدّيها لتكملة معنى اللّفظة في التّركيب.
- غلبت الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة؛ وذلك لتتوافق مع رغبة الخطيب في الدّعوة إلى التّحلّي بالآداب الرّاقية والمثل العليا الّتي يحملها الإسلام.
- أبرز هذا البحث بالاعتماد على علم الأصوات، قيمة العناصر الصّوتيّة الفونيمات التّركيبيّة –الصّوامت والصّوائت– في تشكيل النّص الفنّي المؤثّر في متلقّيه، وقيمتها في تعميق فهم النّص، واستبانة مستواه الفنّي عند دراسته.
- فمن الملامح، كما تبيّن، ما يجعل الصّوت صعبًا في النّطق كالاحتكاك ومن الملامح ما يكسب الصّوت وضوحًا عاليًا في السّمع كالجهر والتّكرار.

وفي الأخير نتمنّى أن تكون مذكّرتنا هذه قد ساهمت ولو بجزء بسيط في إثراء مكتبة الجامعة وسلّطت الضّوء على بعض الزّوايا الغامضة فيما يخصّ هذا الموضوع.

ونرجو من الله أن نكون قد أفدنا ولو بقليل من هذا الجهد البسيط، وتبقى هذه المجهودات مجالاً مفتوحًا أمام الباحثين والدّارسين للإلمام بجوانب أخرى والتّطرّق إليها ونرجو أن تكون حافزًا لكلّ من يطّلع عليها، قلوبنا مفتوحة لانتقاداتكم، نرجو عفوكم إن كنّا قد نسينا أو أخطأنا وهذا هو شأن كلّ بحث.

قائمة المصادر

والمراجع :

❖ **القرآن الكريم:** رواية عن حفص

أولا/ المصادر:

1) ابراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، د تح، دط، دت، ج1.
2) ابو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2001.
3) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتّوزيع، دط، 1979، ج2.
4) بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط2، 1982ج4.
5) الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1.
6) الجوهري، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، مج1، دط، دت.
7) الحافظ محمّد بن محمّد الجزري، النّشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة عليّ محمّد الطبّاع، دار الفكر، دط، دت.
8) السّماني الاشبيلي المعروف بابن الطحّان، مخارج الحروف وصفاتها، تح: محمد يعقوب تركستاني، مركز الصّف الالكتروني، الريّاض، السّعودية، ط1، 1984.
9) شهاب الدّين أبي بكر أحمد بن محمّد بن محمّد بن الجزري الدّمشقي، شرح طيّبة النّشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2000.
10) أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دط، دت.
11) أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، د تح، دار الحديث، القاهرة، دط، 2003، ،مج3.

12) الفضل جمال الدّين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، د تح، دار صادر، بيروت، دط، دت، ج6، ج9، ج14، ج18.
13) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1.
14) مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمّد الشّامي وزكريّاء جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، دط، 2008، ج1.
- محمّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي –عيون البصائر–، دار الغرب الإسلامي، دط، بيروت، 1952، ج2.

ثانيًا/ المراجع:

1) ابراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1985.
2) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط3، 1976.
3) الإبراهيمي، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، تح: طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1.
4) أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1997.
5) أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 2006.
6) باعزيز بن عمر، من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين بن باديس والإبراهيمي، منشورات الخبر، ط2، 2007.
7) بسّام بركة، علم الأصوات العام: أصوات اللّغة العربيّة، مركز الإنماء القومي، لبنان، دط، دت.
8) تارا فرهاد شاكر، المستوى الصّوتي من الظّواهر الصّوتية عند الزّركشي في البرهان، عالم الكتب الحديث، ط1، 2013.
9) تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، دط، 1994.

10) حسن عبّاس، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، منشورات اتّحاد الكتّاب، دط، دمشق، 1998.

11) خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصّوتيّة في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، عمّان، الأردن، ط1، 2006.

12) خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط2.

13) رمضان عبد الله، أصوات اللّغة العربية بين الفصحى واللّهجات، مكتبة بستان المعرفة، الاسكندرية، ط1، 2006.

14) سعاد عبد الحميد، تيسير الرّحمان في تجويد القرآن، دار التّقوى للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط4، 2004.

15) سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنيّة، دار الأمّة، الجزائر، ط1، 1997م.

16) سعد محمّد عبد الغفّار، خارطة التّراث الصّوتي عند العرب، دار المعرفة الجامعية، الاسكندريّة، دط، 2015.

17) صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدّلالة الصّوتية في اللّغة العربيّة، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، ط2، 2006.

18) صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط12، 1981.

19) عبد الصّبور شاهين، المنهج الصّوتي للبنية العربيّة رؤية جديدة في الصّرف العربي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، دط، 1980.

20) عبد العزيز أحمد علاو، عبد الله ربيع محمود، علم الصّوتيات، مكتبة الرّشد ناشرون، دط، 2009.

21) عبد الغفّار حامد هلال، علم الدّلالة اللّغوية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2013.

22) عبد الفتّاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في أصوات اللّغة العربية وفن الأداء القرآني، القاهرة، ط2، 2002.

23) عبد القادر أبو شريفة وأخرون، علم الدّلالة والمعجم العربي، دار الفكر للنّشر والتوزيع، عمّان، ط1، 1989.

24) عبد القادر حاج علي، المفاهيم الصّوتية في تهذيب اللّغة في ضوء الدّرس الصّوتي الحديث، دار الكتاب الحديث، دط، دت.

25) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللّغوية، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، عمّان، ط1، 2010.

26) عبد الكريم مجاهد، الدّلالة اللّغوية عند العرب، دار الضّياء للنشر والتّوزيع، عمّان، دط، 1985.

27) عبد الكريم مجاهد، علم اللّسان العربي: فقه اللّغة العربيّة، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2005.

28) عبد الله العلايلي، مقدّمة لدرس لغة العرب، القاهرة، المطبعة العصريّة، دط، دت.

29) عبد المالك مرتاض، فنون النّثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ط1، 1983.

30) عصام نور الدّين، السّلسلة الألسنيّة علم الأصوات اللّغوية الفونتيكا، دار الفكر اللّبناني، بيروت ط1، 1992.

31) علي حسن مزيان، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، دار شموع الثّقافة، ط1، 2003.

32) غانم قدّوري الحمد، الدّراسات الصّوتية عند علماء التّجويد، دار عمّان، عمّان، ط2، 2007.

33) فريد عوض حيدر، علم الدّلالة: دراسة نظريّة وتطبيقيّة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005.

34) فهد خليل زايد، أساسيات اللّغة العربية ومهارات الاتصال الصّوت- الصّرف- النّحو- الدّلالة والمعاجم- البلاغة- الكتابة، دار يافا العلمية للنّشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1.

35) كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، دط، 2000.

36) كمال بشر، علم اللّغة العام- الأصوات العربيّة- مكتبة الشّباب، القاهرة، دط، دت.

37) مجموعة من الكتّاب، الشّيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، دار الأمّة للنّشر والطّباعة والتّوزيع، ط2، 2012.

38) محمّد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الأمّة، الجزائر، 2007.
39) محمّد المبارك، فقه اللّغة وخصائص العربيّة، دار الفكر، بيروت، ط5، 1972.
40) محمد جواد النّوري، علم الأصوات العربيّة، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، ط1، 1996.
41) محمّد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللّغة العربية، دراسة نظريّة وتطبيقيّة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط5، 2008.
42) محمد سعد محمد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2002.
43) محمّد محمّد داود، الصوائت والمعنى في العربية دراسة دلالية ومعجم، دار غريب، القاهرة، دط، 2001.
44) محمدمحمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007.
45) محمود السّعران، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النّهضة العربيّة، بيروت، دط، دت.
46) محمود عكّاشة، التّحليل اللّغوي في ضوء علم الدّلالة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 2011.
47) مراد عبد الرّحمان مبروك، من الصّوت الى النّص، دار الوفاء للنّشر، مصر، ط1، 2002.
48) مصطفى حركات، الصّوتيات والفونولوجيا، الدّار النّموذجية، بيروت، ط1، 1998.
49) موسري الأحمدي، الشّيخان، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، دط، 1967.
50) نواري سعودي أبو زيد، محاضرات في علم الدّلالة، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2011.
51) نور الهدى لوشن، علم الدّلالة (دراسةوتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، دط.
52) هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي في التّراث العربي، دار الأمل، الأردن، ط1، 2007.

ثالثُا/المجلاّت:

1) جنان صاحب كطافة الموسوي، الدّلالة الصّوتية وأثرها في بيان المعنى(آيات المعاد أنموذجاً)، مجلّة كلّية التّربية للبنات العلوم الانسانية، جامعة الكوفة، ع 10.
2) عزّاز حسنيّة، العلاقة بين الصّوت والدّلالة من منظور علماء اللّغة العرب المحدثين، مجلّة تاريخ العلوم، جامعة سيدي بلعبّاس، ع8، جوان 2017، ج2.
3) محمّد الأمين خويلد، ماهيّة الدلالة الصّوتية، الأثير مجلة الآداب واللّغات، ورقلة، الجزائر، ع2، ماي 2003.
4) منال محمّد هاشم نجّار، أصوات الحركات العربيّة، دراسة دلاليّة جماليّة، المجلّة الأردنيّة في اللّغة العربيّة وآدابها، مج6، ع3، 2010.

رابعًا/الرّسائل الجامعيّة:

1) مزوز دليلة، سيميائية الحرف العربي قراءة في الشّكل والدّلالة، قسم الأدب العربي، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، دت.
2) مهدي عناد أحمد قبها، التّحليل الصّوتي للنّص (بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجًا)، رسالة ماجستير في اللّغة العربيّة، جامعة النّجاح الوطنيّة، كليّة الدّراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2011.

العنوان	الصفحة
إهداء.	
خطة.	
مقدّمة.	أ- د
الفصل النّظري: مصطلحات ومفاهيم.	7- 41
تمهيد.	7
أوّلا/ مفهوم الدّلالة.	7- 10
أ. لغة	7- 9
ب.اصطلاحاً.	9- 10
ثانيًا/ مفهوم الصّوت.	11- 14
أ. لغة.	11- 12
ب.اصطلاحًا.	12- 14
ثالثًا/ مفهوم الدّلالة الصّوتيّة.	14- 17
رابعًا/ علاقة الصّوت بالدّلالة.	17- 27
أ. الصّوت والدّلالة عند الفلاسفة اليونان واللّغويّين الهنود.	17- 20
ب.الصّوت والدّلالة عند العلماء العرب.	20- 24
جـ. الصّوت والدّلالة عند العلماء العرب والغرب المحدثين.	24- 27
خامسًا/ مخارج الأصوات.	27- 39
- مفهوم المخرج.	27
أ. لغة.	27
ب.اصطلاحًا.	27- 29
- عند القدماء.	29- 30
- عند المحدثين.	30- 31
سادسًا/صفات الأصوات.	32- 39

- مفهوم الصّفة.	32- 33
1-الجهر.	33
2-الهمس.	34
3-الشدّة.	34 -35
4-الرّخاوة.	35
5-**الإطباق.**	36
6-الانفتاح.	37
7. **الاستعلاء.**	37
8-**الاستفال.**	38
9- **التّفخيم.**	38-39
10- التّرقيق.	39
سابعًا/ العناصر الصّوتيّة الرّئيسة في اللّغة العربيّة.	39- 41
1. الصّوامت.	39- 40
2. الصّوائت.	41
الفصل التّطبيقي: الصّوامت والصّوائت في خطاب محمّد البشيرالإبراهيمي.	43- 67
أوّلا/ دلالة الصّوامت (الحروف 26 حرف)	43- 58
ثانيًا/ دلالة الصّوائت.(دلالة الألف، دلالة الواو، الياء، الفتحة، الكسرة، الضّمّة).	59- 67
خاتمة.	69-70
ملاحق.	72- 86
قائمة المصادر والمراجع.	87- 92
فهرس الموضوعات.	94- 96
ملخص.	

ملخّص:

لقد حاول البحث أن يسهم بالدّراسة النّظريّة والتّطبيقيّة في إظهار مكوّنات البنية الصّوتيّة للّغة العربيّة، وعلاقتها بالدّلالة، والكشف عن المقاصد الصّوتيّة؛ وذلك من خلال استيحاء الدّلالة من الأصوات العربيّة –الصّوامت والصّوائت– ومميّزاتها الصّوتيّة المتعلّقة بالمخارج والصّفات الأساسية، كما أعاد قراءة خطاب البشير الإبراهيمي قراءة ثانية بالارتكاز على الدّلالات التي يحملها بناؤه اللّغوي، وذلك بتحليل دلالة الأصوات التي برزت بتكرارها الملحوظ.

وقد جاء هذا البحث وفق المنهج الوصفي التّحليلي الّذي يتناسب مع هذا النّوع من التّحليل؛ حيث يصف الظّاهرة الدّلاليّة ويحلّلها تحليلاً لغويًّا.

Rusémé :

La recherche a tenté de contribuer aux études théoriques et appliquées dans la présentation des composants de la structure phonétique de la langue arabe, ses relations avec le sens et l'exploration des objectifs vocaux. Deuxièmement, basé sur la sémantique de sa structure linguistique, en analysant la signification des sons qui ont émergé avec sa récurrence remarquable.

Cette recherche s’inscrit dans l’approche descriptive analytique appropriée à ce type d’analyse: elle décrit le phénomène sémantique et l’analyse linguistiquement.